دراسات في التربية والتعليم

(٤)

الأبعاد الفلسفية لفكر سعد الحصين

د. عبد الله محمد الزيد

دار الفودة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دراسات في التربية والتعليم
(٤)

الأبعاد الفلسفية لفكر سعد الحصين

د. عبد الله محمد الزيد

(ح) دار الفودة للنشر والتوزيع . ١٤٢٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزيد ، عبد الله
الأبعاد الفلسفية لفكر سعد الحصين / عبد الله الزيد . مكة المكرمة . ١٤٢٥ هـ
١٠٧ ص ؛ ٢٥ سم
ردمك : ٥ - ١ - ٩٤٧٨ - ٩٩٦٠

١ - الحصين ، سعد ٢ - التوجيه التربوي ٣ - التربية الإسلامية
أ . العنوان
ديوي ٤ . ٣٧١ ١٤٢٥/٦٥٤٥

رقم الإيداع : ١٤٢٥/٦٥٤٥
ردمك : ٥ - ١ - ٩٤٧٨ - ٩٩٦٠

دار الفـودة للنشـر والتـوزيع :

شارع عبد الله عريف (الستين سابقاً) مركز الستين التجاري

(عريف سابقاً) هاتف : ٥٤٤١٠٦٢ - فاكس : ٥٤٦٠٥٢٢

جوال : ٠٥٠٥٥٣٥٦٣٩ - ص.ب : ٢٠٢٤٣

مقدمة

بقلم معالي الأستاذ

عبد الوهاب أحمد عبد الواسع

يجد الإنسان صعوبة بالغة حينما يطلب إليه كتابة مقدمة لمؤلَّف ما لأن عليه أن يحرص كل الحرص على قراءة المؤلَّف بصورة دقيقة ليعرف منه فكر صاحبه ، ويزيد العبء حينما يكون الكتاب تربوياً أو عن شخص تربوي وله اتجاهاته الخاصة في التربية والتعليم .

عرفت الأستاذ سعد الحصين زميلاً بوزارة المعارف عندما كان يعمل بإدارة البعثات الخارجية - على ما أظن - وكان لقائي به محدوداً ثم نقل للعمل ملحقاً ثقافياً للطلبة السعوديين في مدينة لوس انجلوس وكنت في رحلة لمتابعة أحوال الطلاب والمبتعثين في أمريكا وزرت طلابنا في لوس انجلوس وحضر الأستاذ سعد الحصين ذلك الاجتماع بحكم عمله وإشرافه عليهم وأوضح لي ما يراه حيال الطلبة هناك وعرفته عن قرب وكانت آراؤه تسعى لخير الطلاب .. ومما لا شك فيه أن الأستاذ سعد الحصين

رجل يتسم بالخلق والدين والأدب .

وفي هذا الكتاب للدكتور عبد الله الزيد حديث مسهب عن فكر الأستاذ / سعد الحصين التربوي وحرص على تحقيق ذلك الفكر حينما أصبح مديراً عاماً للتعليم الثانوي ، لقد قرأت في عجاله ذلك الفكر في هذا المؤلف وأنا أعرف أن موضوع المدرسة الشاملة سبق أن جرى بحثها والكتابة عنها لمعالي وزير المعارف آنذاك ، وقد فكروا بإدخال المهارات اليدوية في المدارس ضمن عدة أفكار تطويرية بحثت ورؤي أن يتم الأخذ بهذه المقترحات حينما تكون الظروف مهيأة لذلك ومن البديهي أن كل مختص يحرص على الأمور التقليدية التي جرى اعتمادها والسير بها وليس ثمة شك في أن التطوير أمر طبيعي يحتمه مسايرة التطور العالمي ولمسايرة آمال المختصين الجدد وبما يلائم ظروف المجتمع وآماله ، فالمجتمع يجب أن يسعى للتجديد وإلا بقي متأخراً ودولتنا ولله الحمد والمنّة تسعى للتجديد وتوائم بينه وبين المحافظة على الدين والتراث فنحن أمه إسلامية بها قبلة المسلمين ومشاعر حجّهم وعمرتهم ، وبها الحرم الآمن وبها مسجد النبي الكريم وقبره

الشريف ، فلذلك نحن بالنسبة للأمة الإسلامية مثل القلب في الجسد ونحن معقل هذه الأمة وديننا يدعو إلى العلم وقد جاء في الحديث الشريف : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ولا شك أنه يعني أيضاً المسلمة وقرآننا العظيم أول ما نزل به الأمر الإلهي على النبي العظيم {اقرأ } ثم يدعوننا هذا القرآن إلى التفكّر والتدبّر فالتفكير فريضة إسلامية ويالينا كنا كالجيل الإسلامي الأول في التفكير والبحث ووضع النظريات فمعظم النظريات العلمية سبق بها علماء المسلمين من عرب وغيرهم فالعلماء في الغرب يعترفون بذلك وعلينا أن نسعى سعياً حثيثاً لأخذ العلم من مناهله ، حتى تعود لنا الريادة إن شاء الله .

لقد هداني لهذا الحديث هو أن الأستاذ / سعد الحصين لا يرى أن مشروعه التربوي هو مشروع المدرسة الشاملة بل مشروع آخر يفتح المرحلة الثانوية من التعليم لكل من حمل الشهادة الإعدادية بصرف النظر عن المعدل والعمر والامكانية لكي يظل العلم مفتوحاً للمتعلم مع دراسته لدينه وحفظه لما يحب .

وتصوري أن ذلك - يجمع بين التعليم الحديث والتعليم القديم الذي كان نسيجاً بين المساجد والحرمين الشريفين فهو

أشبه بالتعليم المفتوح وقناعتي أن مثل هذا الرأي يحتاج إلى تغيير في نظرة المجتمع ، ولابد أن يكون واضحاً أن الشباب لابد أن يعدوا للدراسات العليا سواء للدراسة في الخارج أو الداخل وما لم تكن الحلقة بين الدراسة الثانوية المفتوحه بين التعليم ما بعد الثانوية متناغماً ومنسجماً فقد يصعب نجاح مثل تلك الفكرة .

إنني أتمنى للأفكار الجديدة البناءة النجاح والتوفيق ولكن بعد أن تدرس الأمور دراسة محكمة ومتكاملة وهذا أمر لا يرفضه الأخ الأستاذ سعد حتى يكون النجاح حليف تجربته .

ان الأخ الدكتور / عبد الله الزيد قد أعطى دراسة الشيخ سعد الحصين حقها من الدعم والرأي الحسن . ونحن في مجتمعنا يجب علينا قبول الرأي والرأي الآخر وأن نقبل الرأي والاتجاه المعاكس فمن تلاقح الأفكار يتحقق ضوء جديد لمسيرة حياتنا التربوية وغير التربوية .

نسأل الله مخلصين أن ييسرنا للخير وييسر الخير لنا . .

عبد الوهاب أحمد عبد الواسع

بسم الله الرحمن الرحيم

سعد الحصين عالم رباني وفيلسوف تربوي أصيل عرفته خلال العقود الثلاثة الماضية .. وظل عندي على سجيته الفطرية هو هو لم يتغير ولم يحد عن قناعاته قيد أنمله .. وما زادته الأيام إلا نمواً في نضجه على نضجه المبكر .

التقيته ابتداء في العديد من الاجتماعات التربوية التي كانت تزخر بها وزارة المعارف خلال ثمانينات القرن الماضي .. وكنت قد عدت للتوِّ بعد استكمال دراستي العليا .. وبدأت العمل في كلية التربية بمكة المكرمة المتفرعة عن جامعة الملك عبد العزيز .. وكنت أرأس قسم التربية إلى جانب المحاضرة في طلاب البكالوريوس والدراسات العليا في الكلية والإشراف على مركز التدريب التربوي بالجامعة بمكة المكرمة .. وإشرافي على هذا المركز هو الذي وثّق علاقتي أكثر بوزارة المعارف .. على أن علاقتي بالوزارة قد بدأت قبل ذلك عندما كنت أتعلم بالولايات المتحدة حيث قدمت خلال إحدى إجازاتي الصيفية برنامجاً مقترحاً للتدريب التربوي

يستهدف الموجهين ومديري المدارس وبعض المعلمين والإداريين في جامعة (أوكلاهوما). وقد كتبت المقترح وسافرت من الطائف حيث تقيم أسرتي خلال الصيف إلى الرياض وقابلت وكيل الوزارة آنذاك الشاب المتفتح الأمير خالد بن فهد بن خالد الذي ما إن فاتحته في الموضوع حتى تحمّس له وطلب المشروع لدراسته على أن أقابله صباح اليوم التالي للاجتماع . وعندما عدْت إليه وجدته قد امتلأ قناعة وأخرج المشروع من درج مكتبه وقال « باسم الله أول مشروع أوقعه .. » وشكرته وعدت أولاً إلى الطائف ثم إلى مقر دراستي في أوكلاهوما .. وما مضت غير مدة قصيرة حتى تقاطرت أفواج المتدربين على جامعة أوكلاهوما ثم على جامعة إنديانا مع أسرهم وهم يمثلون جميع المناطق التعليمية .

كان جوهر فكرة البرنامج كما شرحته لوكيل الوزارة في حينه .. هو إتاحة الفرصة لأسرة التعليم القيّمة على إنفاذ سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية وتمكينهم بالدرجة الأولى من مشاهدة نوع مختلف من الأداء التربوي من خلال المحاضرات والمناقشات الحرة والزيارات الميدانية للمدارس والإدارات التعليمية على الطبيعة .. وحتى يلحظوا بأنفسهم تلك المؤسسات وهي تؤدي

عملها في الواقع .. ونوع العلاقة بين الطالب والطالب ثم الطالب بإدارات المدارس وبمعلميها وبجميع منسوبيها .. وطرق الصيانة والنظافة ، والمواصلات وكيف ترتبط المدارس بالإدارات التعليمية والأكاديمية وبأولياء الأمور ، ونوعية التوجيه والإشراف التربويين السائدين هناك ومصادر التمويل .. ونظام التدريب أثناء الخدمة الذي يقوم به العاملون في التعليم .. إلخ .

وامتلأت مدينة نورمان الجامعية بولاية أوكلاهوما ومدينة بلومنجتن الجامعية بولاية إنديانا بالأسر السعودية وبأطفالهم مما أتاح للبرنامج أن يحقق أبعاداً اجتماعية وثقافية واسعة إلى جانب الأبعاد التربوية المستهدفة .. واستفاد المئات من منسوبي التعليم من هذا البرنامج وعاد معظمهم وهم يحملون الدبلوم التربوي العالي أو الماجستير بل والدكتوراه لمن تمكن من الاستمرار في الدراسة .. الأمر الذي ساهم في فتح الباب على مصراعيه لإجراء مناقشات واسعة حول المسلّمات التربوية السائدة ومن ثم في طرح برامج تطويرية بديلة وعديدة في مجال الإدارة التربوية والمدرسية ، وتكنولوجيا التعليم والتوجيه والإشراف التربوي .. الخ . وعقدت لذلك ندوات ومؤتمرات كان أبرزها مؤتمر الطائف عن التوجيه

التربوي الذي أكّد على بقاء مسمى التوجيه التربوي بدلاً من مسمى الإشراف الذي كان مطروحاً للبحث . ومؤتمر المعلمين الأول الذي عقد برعاية كلية التربية بمكة المكرمة وتشرفت بعضوية الهيئة التأسيسية للمؤتمر الذي انبثقت عنه توصيات كثيرة رائدة أدت مثلاً إلى خروج الكليات المتوسطة للمعلمين إلى الوجود ، وإلى اعتماد كادر جديد للمعلمين الذي يعتبر من أهم المكاسب في تاريخنا التربوي حيث وضع المعلمين في مستوى معيشي معقول عزز مكانة مهنة التعليم في الأوساط الاجتماعية بعد أن كان المعلمون يحتلون مكانة دنيا في السلك الوظيفي .. ثم أدى إلى صياغة جديدة للائحة الاختبارات توفر المرونة والانضباط والعدل في عملية تقويم الطلاب في كافة المراحل التعليمية .. وعشرات التوصيات التربوية الهامة .. والمؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي والذي تشرفت أيضاً بالعمل فيه كسكرتير له وعقد في جامعة الملك عبد العزيز وبأبعاد عالمية تخطت المحلية ..

على أن من أهم توصيات مؤتمر المعلمين الأول آنف الذكر توصية بشأن إصلاح التعليم الثانوي بما سمي لاحقاً بنظام التعليم الثانوي الشامل - ثم المطوّر .. وهو النظام الذي وثّق علاقتي أكثر بالمعنّي

بهذه الدراسة الأستاذ سعد الحصيّن الذي طرح البرنامج لأول مرة وبمبادرة ذاتية على الوزارة التي تبنته وعقدت لذلك عدة ندوات ولقاءات في الرياض ومكة المكرمة وجدة وأبها والدمام .. وكنت معنياً بالبرنامج وبشكل أكبر في مدن المنطقة الغربية الثلاث «مكة المكرمة - جدة - الطائف» عندما أصبحت مديراً عاماً للتعليم بالمنطقة الغربية ...

والأستاذ الحصين أثابه الله وأجزل له الأجر وسامحه هو الذي نقل لي رغبة الوزارة في هذا العمل .. وكنت قبلها قد تلقيت أكثر من عرض للانتقال من الجامعة بمكة المكرمة إلى جهاز الوزارة نفسها في الرياض من أحبة مسئولين فيها لكني وفي كل مرة أبدي شكري مع التمنع على اعتبار أني مع الوزارة في كل مشاريعها التطويرية ولقاءاتها واجتماعاتها .. لكن الأستاذ الحصين زيّن لي بأسلوبه المحبب وبأخلاقه العالية الانتقال هذه المرة ليس إلى الوزارة بل إلى عمل تنفيذي رئيس يتيح لي دفع عملية التطوير - وهو هاجس يلح عليّ بشدة - بشكل مباشر وجديد يقوم على صلاحيات واسعة وينطلق من فكرة اللامركزية الإدارية مع امتيازات وظيفية مناسبة «لم أرَ منها شيئاً فيما بعد ولله الحمد !» .

ومع أني منحته الموافقة إلا أني شعرت بأقدامي قد تثاقلت عن مغادرة المكان الذي هو مكة المكرمة ثم هو العمل الأكاديمي الفريد ثم هو أخيراً وليس آخراً علاقتي المكينة بطلابي حيث كنت استمتع معهم بلقاءاتنا والتي لا تنفضّ إلا مع منتصف الليل ، وبطلب منهم خاصة الطلاب الذين يقدمون للدراسات العليا من الطائف وجدة ..

وقد رغب مني الأستاذ الحصيّن في إبداء الرأي لمن يصلح مديراً عاماً للتعليم في المنطقة الشرقية فأشرت عليه بالزميل الدكتور سعيد أبو عالي الذي كان يعمل مساعداً لي في عمادة القبول والتسجيل ولّما يمضِ على تسلمي العمادة إلا الوقت القصير إلى جانب عملي في رئاسة قسم التربية ورئاسة مركز التدريب التربوي في الجامعة ..

وتوثّقت علاقتي أيضاً مع انتقالي للعمل مديراً عاماً للتعليم بالمنطقة الغربية بتربوي بارز آخر ونادر في زماننا هو الدكتور سعود الجمّاز الذي أصبح وكيلاً للوزارة بعد أن غادرها الأمير خالد بن فهد الذي أحسست بحزن على مغادرته لأنه كان المحرك الأساس لكل إيجابيات المنجز التربوي الذي بدأ يأخذ طريقه في التعليم وعلى كافة الصُّعد ..

إلا أن الدكتور الجماز بهدوئه وبعمقه وبرؤيته الثاقبة كان أجود خلف لأجود سلف .. وكم ذا رأيت في تجربتي الطويلة في الإدارة والعمل الأكاديمي مؤسسات تتكيء بثقلها على رجال قلة لا يحتلون مكان الرأس فيها لكنهم أميز كثيراً من آخرين اقتضت الظروف سوقهم إلى تلك المواقع، مع فقدانهم موهبة القيادة وعمق التخصص وصواب القرار ووضوح الرؤية، التي هي في مجملها المكون والمسبب للتخبط وخطل الرأي . هذا قد يكون على المستوى الإنساني العام وليس بالضرورة في حالة معينة ..

وتجذرت صلتي بالأستاذ الحصين بمزيد من العمل المشترك لرعاية وتعميم نظام المدرسة الشاملة من خلال الكثير من اللقاءات والندوات، حتى قرر وبرغبة شخصية وللأسف ترك العمل الرسمي والتفرغ للدعوة لله داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ... وبمغادرته الطوعية افتقدت الوزارة فارساً مجلياً آخر فتباطأ نبض التطوير بعده .. ثم زاد تباطؤ نبضه أكثر بمغادرة طوعية أخرى لفارس آخر عن جواد المسئولية هو الدكتور سعود الجماز .

على أن نظام المدرسة الثانوية الشاملة لم يكتب له طول عمر بعد الأستاذ الحصّين.. إذ أصبح مطوّراً ثم تقليدياً ولقد حاولت

جاهداً مع قلة من الزملاء الحفاظ على جوهره عندما تكالبت عليه الظروف من كل صوب من خلال فكرة تثبيت الجدول الدراسي في المدرسة الثانوية والإبقاء على التعددية في الأقسام بدلاً عن الاقتصار علي القسم العلمي والأدبي في الثانوية التقليدية، وهو ما كان كحد أدنى يحفظ بقية من جهد مضن بذل في سبيل تطوير التعليم الثانوي .

والنظام الشامل المعتمد على نظام الساعات المعتمدة سواء في الجامعات أو في التعليم العام يقوم على مرونة هي أقرب في فكرته إلى نظام الحلقات السائدة في المدارس وحلقات العلم في منظومة التعليم العربي والإسلامي وحتى زمن قريب .

والمتحفظون على نظام الساعات المعتمدة الذي يعتمد على مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، لا يدرون وهم يتحمسون اعتباطاً لنظام المدرسة الثانوية التقليدية بقسميها، أنهم يتحمسون لنظام مستورد جاء في غمرة استبدالنا حياة أسلافنا بكل أبعادها السياسية والفكرية والثقافية بعد إسقاط الخلافة في أوائل القرن الماضي وتراكض الولايات العربية والإسلامية نحو استعارة جوارب وألبسة وأطعمة وأنظمة الغير في جميع أنماط الحياة إلى الحد الذي

جعل مفكراً عربياً كبيراً مثل الأستاذ / المفكر والفيلسوف زكي نجيب محمود يقول لي وقد جمعنا السكن في أحد نزل الرياض على هامش اجتماعات مهرجان الجنادرية وقد سألته باستفزاز .. كيف وجدت عاصمة الصحراء العربية ؟ فأقبل عليّ بكل وجهه وقال : بخير .. إنني مسرور جداً أن أجد نفسي هنا .. ثم أردف : أتدري ! قلت : ماذا ؟ قال : مرّ عليّ زمان ليس بالقليل من عمري وأنا أتمنى تغيير كل شيء في مصر والعالم العربي فأنقل كل شيء في الغرب وأبدل به كل شيء لدينا في الشرق وحتى المساجد كنت أريد اقتلاعها وإبدالها بالكنائس ظناً مني أنني أقتلع التخلف بكل عناصره !!! قلت : والآن . قال : أحمد الله أنني عشت وأطال الله عمري حتى رأيت هذه النهضة في بلادكم .. لقد عاد إليّ توازن الرؤية وأصبحت مقتنعاً بإمكانية التطوير مع الحفاظ على ما يميزنا من إرث حضاري .. فحمدت الله إليه وقطع حوارنا صوت المسئول عن المواصلات للإنتقال إلى فعاليات المهرجان .

والأستاذ الحصين رجل مقنع وهبه الله هذه الموهبة فما أن ترى مظهره وتسمع كلامه حتى تمتلئ ثقة به .. مكتبه في الوزارة لم يكن مكتباً تقليدياً فارهاً .. وكان زملاؤه من المسئولين يتسابقون

على ملء مكاتبهم بالأجمل والأغلى ثمناً لكنه كان يجلس على مكتب من الخوص .

وفي الاجتماعات الكثيرة التي عقدت في الوزارة برئاسة وكيلها الأمير خالد كان يبهرك عندما يكون له الدور في التعليق .. فالحاضرون يشرقون ويغربون بأفكارهم وتعليقاتهم وآرائهم ، لكن القول الفصل يكون له في أغلب الأحوال ..

كان يعتمد الطرفة المحببة كأحد سبل الاقناع لسامعيه .. ويستعمل لغة سهلة منسجمة مع شخصيته السهلة .. وكان بعض الجالسين إلى مائدة الاجتماعات يتبرمون من سيطرته عليها عندما يكون حاضراً لكنهم لا يقدمون الرأي الأفضل حتى تكون النتائج لهم .. !!!

هذا عندما تكون رئاسة الجلسة لغيره .. أما إذا رأس الجلسة هو فإن الأمر يختلف إذ ينقلب مرحه «جداً مملاً» لمن عرف شخصيته المرحه ولعله فيها يكون مأخوذاً بمتابعة سيرها على الطريق المرسوم لها وبضبط تناغمها ووصولها إلى تحقيق قراراتها أو توصياتها المطلوبة .

على أن قوة الاقناع تبقى قاسماً مشتركاً في الحالين ..

كان يحرص في اجتماعاته التي شاركته فيها على أداء الصلاة جماعة ويأمنا في غالبها ... وحتى صلاة الفجر تراه أمامك في الوقت المناسب وبدون أي تأخير ..

لم يكن صاخباً في مشيته أو كلامه .. طعامه قليل ولا يحب التنوع والبذخ فيه .. دعوته مرة لطعام الغداء وكنت أريد ضم بعض الزملاء إلى اللقاء ليكون لقاء علم وصلة .. لكنه اشترط عليّ غير ذلك وأن يكون الطعام طبقاً واحداً معيناً وبسيطاً .. وهو ما كان .

وعندي أن بُعده عن الترف في مأكله ومشربه ومسكنه وجمع حطام الدنيا لم يكن تمثيلاً يقصد به التظاهر بل يريد التعفف بصدق على اعتبار أن البسيط الذي يقيم أوَدَه سيمكن جسمه من الحياة بما يريد الله بل وقد يكون في صحة أفضل من رجل آخر يعيش ليأكل . !!

بالنسبة لي لم يكن فهم طروحاته يمثل مشكلة من أي نوع فكلانا متخصص في فلسفة التربية مع ميلي بطبعي إلى هذه النوعية الراقية من الناس ... غير المتلونين .. ممن تبرق عيونهم بالزيف الذي يختفي في صدورهم ..

ظلت صلتي به حتى بعد أن غادر البلاد للدعوة لوجه الله .. ويكرمني بزيارات قصيرة وفق ظروفه عندما يكون في جده ..

من الرجال القلائل الذين عرفتهم بغزارة العلم وسعة الأفق إثنان : إبراهيم فوده ... وسعد الحصين .. إبراهيم فوده لديه قدرة بيانية فائقة وثقافة واسعة نادرة لكنه لا يكتب، حتى شعره ظل مطوياً بدعوى عدم مناسبته لظروف الساعة .. وكم ألححتُ عليه ليكتب ويطبع شعره مما يصلح .. وبعد تردد أطلق سراح شعره للطباعة لكنه لم يكتب أفكاره على الورق وطلبت منه تسجيل خواطره على أشرطة واختاره الله وهو لم يفعل ..

وسعد الحصين هو الآخر فيلسوف ومفكر أصيل لكنه لم يكتب ولأسفي على أمثاله تمنيت عليه أن يسطر أفكاره وتجربته الرائدة وظننته لا يفعل .. إلا أنه أخلف ظني بما يسُر وكتب تجربته التربوية في الرسالة التالية التي تلقيتها منه .. ممتناً بل وفرحاً علّ من يتصدى للدراسات التربوية أن يجد فيها مادة تعينه في البحث والتقصي لفكرنا ولتاريخنا التربوي المعاصر ..

وكلمتي الأخيرة لمن يريد أن يقرأ فكر الأستاذ الحصين ألا يستعجل في الحكم عليه من أول وهلة .. وألا يصدنّه عن الغور

فيه ما يجد من بساطة لغة التناول فيه .. فهو مملوء بالمضامين الدقيقة والبعيدة النظر .. ومن ليس له دربة كافية ومعرفة عميقة بأصول التربية وعلومها المتعددة قد لا يوفق في استخلاص تلك المضامين بسهولة .. وذلك لأنه ليس مفكراً تربوياً يغترف من الماضي وحسب .. وهذا ليس بعيب بالطبع لمن تمكن فيه .. ولكنه جمع مع أصالته فيه أصالة العالم الذي تعلم في الغرب وعرف فكره بلغته واستطاع أن ينفرد لنفسه بموقف مما تعلّمه .. فهو لا ينقل تقليداً أو انبهاراً ولكنه يتمعّن ويفكر ثم يستخلص .. بعين مفتوحة وبقوة على الماضي والمعاصر .. وبعقل لماح قادر على فهم الخلل والتناقض أو التعارض مع موقف أصيل لا يتزحزح أو يهتز للانتصار للفكر التربوي الموروث ولو كان قديماً أو بسيطاً .. فالقدم والبساطة لا تنقض الفكر الصحيح أو تنفي عنه صلاحيته للمعاصرة ..

إن كثيراً ممن ساحوا في طلب العلم خارج بلادنا عادوا مشوشين .. فلا هم بالذين استغربوا عن علم ووعي وفهم .. ولا هم بالذين أصّلوا أنفسهم بفهم موروثاتهم بما يرفعهم إلى مقام العلماء الحقيقيين .. فهم كالذي وقف على بئر ليستسقي فأنزل به دلوه

فعاد بعضهم بنصفها ماء .. وعاد بعضهم بربعها .. وعاد البعض الآخر وما فيها إلا بعض البلل ... !!

إننا بالطبع لا نعدم أن نجد في أبنائنا وفي كافة حقول المعرفة من بلغ شأواً عالياً في العلم المكتسب .. لكننا نحتاج نموذج سعد الحصين الذي هز شجرة التعليم - في سنوات خلت - مع نفرٍ قليل من زملائه فاتت أكلها ضعفين في سنين لم نر مثل نتاجها في تاريخنا التربوي ..

وإنني إذ أقدم للقراء فكره الأصيل في سلسلة دار الفودة لأرجو من باحثينا الشباب أن يعنوا بدراسته عناية تساعد واضعي السياسات التربوية والتعليمية في بلادنا العزيزة على انتخاب أفضل الأسس ليقوم عليها نظامنا التربوي بعيداً عن العشوائية والمغامرة والتجريب المتخبّط .. لإن صناعة مستقبل الأمة الصحيح لا يتأتى إلا بنظام تربوي صحيح ...

والله المستعان .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
والدعوة والإرشاد

الرقم ٦٩١
التاريخ ١٤١٧/٦/١٤
المشفوعات تقرير عضوين عن التعليم

من: سعد الحصين - ص.ب ٩٠٥٧٤٤ - عمان ١١١١٠ - الأردن.
إلى: أخي في الله / أبي نحم، عبد الله بن محمد الزيد حفظه الله العافية في كل أموره وزاده.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: كنت قد طلبت مني أن أكتب عن انطباعي عن التعليم ويسرني أنك استجبت لنفسك دون أن تطلب في الفضل والدين والمودة، ولكنه باعي يقصر عما يطمح إليه مثلك: بحثاً عميقاً موثقاً يصلح مرجعاً للراغبين في إصلاح التعليم. ولم يكن في يدي إلا أن أقص عليك (واسجحي): تجربتي البسيطة المتواضعة على هامش التعليم ثم على هامش العمل التعليمي.

وفقك الله لطاعته وخدمة دينه والدعوة إلى سبيله على بصيرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله سعد الحصين

بسم الله الرحمن الرحيم

التجربة التعليمية لسعد الحصين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعة ضلالة .

مقدمة

لم أجد في حياتي

خيراً من سرد تجربتي التعليمية في المملكة طالباً (١٧ سنة ١٣٥٩ - ١٣٧٦ هـ) ، وعاملاً في التعليم العام (٢٥ سنة ١٣٧٧ - ١٤٠١ هـ في وزارة المعارف) ، ثم عاملاً في التعليم الشرعي : الدّعوة إلى الله على بصيرة (١٦ سنة ١٤٠٢ - ١٤١٧ هـ) في مكتب الدعوة في الأردن التابع لرآسة إدارات البحوث العلمية والافتاء ثم لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) .

وقد تمنيت أن تمتد الفترة الزمنية التي نؤرِّخ لها هنا للتعليم .. إلى ما قبل مائتي سنة يوم قامت دعوة ودولة التوحيد والسّنّة بجمع شمل « جزيرة العرب » عقيدة وعبادة ومعاملة على شرع الله .

وتمنيت أكثر لو قصرت تلك الفترة الزمنيّة التي يراد التأريخ للتعليم فيها على خمسين أو ستين سنة بدأت بإعلان قيام المملكة العربية السعودية تحت لواء التوحيد ، معيدة جزيرة العرب للمرة الرابعة في تاريخ الإسلام إلى الوحدانيّة والسّنة ، والوحدة الإدارية وطناً للمسلمين وحدهم ، متميّزة كما أراد الله لها بتنفيذ الأحكام الشرعيّة والدّعوة إلى الله على بصيرة وتطهير البلاد من الوثنية .

التعليم الشرعي المحلي

(١) المسجد

المسجد : أول مدرسة وجدت في تاريخ الإسلام ، بني أساساً ليذكر فيه اسم الله ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ والصلاة أعظم أنواع العبادة بعد الشهادتين - تشمل جميع أفوال الذكر : التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار والصّلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأكثر أفعال الذكر : القيام والركوع والسّجود والجلوس ، قال الله تعالى : ﴿ وأقم الصّلاة لذكري ﴾ . وفي المسجد يتعلّم المسلم عمليّاً - بسمعه وبصره وممارسته - كلّ هذه الألوان المفروضة والمسنونة من العبادة .

ومنذ عهد النبوّة اتخذه المسلمون معهداً للعلوم الشرعيّة «اليقينيّة» تأسيّاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتنفيذاً لشرع الله وطاعة لأوامره : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرة ﴾ . ولم يقصره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم على الأمور التعبُّدية ، بل شمل عدداً من الأمور العاديّة ؛ فاستُعمل داراً للغريب والفقير ، ومجلساً للشورى ، ومركزاً

للتعبئة العامّة للجهاد ، وسجناً لمن يستحقه من المسلمين أو المشركين ، ومكاناً يستقبل فيه ولي الأمر وفود المسلمين والمشركين عند الحاجة .

وكانت المساجد في بداية حياتي (ولا يزال بعضها) منهلاً للعلم الشرعي بما يلي :

١ - خطبة الجمعة ، التي شرعها الله وفرضها لتعليم المسلم أمور دينه اليقينية الثابتة قبل أن يحوّلها الفكر «الإسلامي» الضّال عن منهاج النبوّة إلى وسيلة أخرى للاعلام الظنّي مستمّداً أخبارها من الصحافة والاذاعة والإشاعة . وما شرعت إلا للتذكير بالوحي .

٢ - دروس الدّين التلقيني للعوام : مَنْ ربك ، ومَا دينك ، ومَنْ نبيّك ؟ وأجوبتها المحدّدة . وهذا الدرس على بساطته من أهم ما يتعلم المسلم لأنه يعدّه لامتحان القبر .. الامتحان النهائي و،الشهادة النهائية .. (وتستعمل الكنيسة الكاثوليكية «بخاصة» هذا الاسلوب من قبل باسم : كاتيكيزم Catechism) .

٣ - دروس الدّين العامّة في الوعظ ، والخاصّة في التوحيد والفقه وعلوم الآله .

٤ - دروس القرآن الكريم تلاوة وحفظاً (وقليلاً من التّدبّر) .

التعليم الشرعي المحلّي

(٢) المدرسة

سنّ التعليم :

بين السادسة والسّابعة من العمر يمكن أن يبدأ الطفل خطواته الأولى في طلب العلم ، والمؤسسة الوحيدة التي يجد فيها بغيته في أكثر قرى المملكة ومدنها تسمّى «المدرسة» .

ولا حدّ للسّنّ التي يجب عليه أن يتوقف عندها عن طلب العلم في «المدرسة» قد يكون طالب العلم في المدرسة طفلاً في الخامسة أو السادسة ، وقد يكون رجلاً في الخامسة عشرة أو الخامسة والعشرين أو الخامسة والثلاثين .

وقد يبدأ الطالب دراسته في «المدرسة» في أيّ يوم من أيام السّنة ، وقد يكون ذلك اليوم نفسه الذي ينهي فيه الطالب آخر ما كتب الله له من أرقى العلوم : كتاب الله الكريم ، تلاوة أو حفظاً.

تنظيم بسيط ، يساير الفطرة التي فطر الله النّاس عليها ويساير الواقع الذي قدّره الله عليهم ؛ فليس من الحكمة فرض نمط واحد من التنظيم التعليمي على عقولٍ وأجسامٍ وأقدارٍ مختلفة ، إلاّ أن يتميّز بقدر كبير من المرونة لاستيعاب ضرورات الاختلاف .

العلـم :

القرآن الكريم - في غالب أحوال المدرسة - هو وحده العلم ، لا ينافسه غيره ، ومن خلال تعلّمه يعرف طالب العلم : القراءة والكتابة ، الأداة الأولى والأهم لتحصيل العلم .

كان القرآن الكريم منذ بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري (في جزيرة العرب) أول ما يُطلب من العلم ، وفي الغالب كان أقصى ما يطلب ، وفي الواقع فهو أعلى وأغلى ما يطلب . ومن خلال تعلّمه يتعرف طالب العلم إلى الحكمة في أعلى مراتبها : منه يعرف ربّه ورسوله ودينه ، ويعرف غاية وجوده ، ويعرف ما يجب أن تكون عليه علاقته بالله وعلاقته بأخيه الانسان وعلاقته بالكون عامّة ، ويعرف الطريق المستقيم لتحقيق رضى الله في ذلك كلّه ، ومن ثَمَّ ثوابه .

ومِنْ تَعَلُّمِ القرآن يملك طالب العلم مفتاح العلم الشرعي (وما دونه من الفنون) : اللغة العربية ، أوضح ما تكون وأنقى ما تكون وأثبت ما تكون . وبهذه الصفات (الوضوح والنقاء والثبات) كانت أهلاً لأن يختارها الله بفضله - لينقل كلامه ووحيه وشرعه في رسالته الكاملة والأخيرة إلى الثقلين : الإنس

والجنّ ، ويبعث بها خير رسله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليبيّن للناس ما نُزِّل إليهم : ﴿ قرآناً عربيّاً غير ذي عوج لعلّهم يتقون ﴾ .

وبأهليّتها لحمل العلمَ اليقيني الموحي به من الله لهداية خلقه ؛ حملت خير إرث العرب والمسلمين من العلم والحكمة : آلاف الكتب من العلم العميق المبني على نصوص الوحي في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآه وسلم ، وفقه أئمة القرون الخيّرة في هذه النصوص ، مما تقوم عليه حياة الإنسان في الدنيّا والآخرة .

فماذا ورّث التعليم المحدَث ؟ لو ورّث طلابه قدرة على قراءة وفهم جزء يذكر من هذا الإرث العظيم لكان خيراً ، ولكن .. هيهات .

المعلّم :

كان لقبه الذي يعرف به في نجد « المطوَّع » مأخوذة من التطوّع لله بالعمل الصالح من أعمال «الحسبة» وتعليم القرآن أعظم أعمالها عند الله (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) رواه البخاري .

«والمطوّع» في مدرستي الأولى مثل جميع «المطاوعه» في مدارس شقراء السّت للبنين ، (إضافة إلى ثلاثة مدارس للبنات ،

معلمتها «مطوعه») تَعَلّمَ تلاوة القرآن ، عمل إماماً في أحد مساجد البلد ، وعرف بالإلتزام الدّيني والخلقي ، وتميّز «مطوّعنا» رحمه الله (عبد العزيز بن حنطي) بزيادة حرصه على العمل بالسنّة في العبادات والعادات .

طريقة التعليم :

يبدأ طالب العلم بتعلّم حروف اللغة العربية ، ويرددّ عبارات معيّنة تساعده على التمييز بين الحروف وحفظها: «با» تحتها نقطة « تا» فوقها ثنتين ، «ثا» فوقها ثلاث ، «جيم» فيّ وسطها نقطة . وقد تضاف بعض العبارات المرحة فيقال عن حرف «هـ» أمّ أذينات شتّار عرّافها يقول : ها .

ويبدأ تعلّم القرآن بتلاوة وحفظ فاتحة الكتاب والمعوذتين وسورة الاخلاص . ويستمر تعلم التلاوة (وربما الحفظ) حتى نهاية سورة البقرة .

وحين يختم طالب العلم القرآن (الشهادة العليا بعد شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله) ينال المعلّم وبقية الطلاب حظّهم من ميسور وليّ أمره من المال أو الطّعام . كما أن المعلم يحصل على أجر غير محدّد من المال حسب قدرة أهل طالب

العلم ورغبتهم ، لقاء تفرّغه للتعليم .

كيف يقوم معلّم واحد على تعليم عدد غير محدّد من الطلاب (ويسمّون «القرّاية» محرّفة من القرّاؤون) يختلفون في السّنّ والإدراك ودرجة التحصيل العلمي ؟ ينشغل المعلم بدارس واحِد أو اثنين ، وقد يعهد بدارس إلى زميل له أكبر سناً وأكثر تحصيلاً ، وقد يجتمع عدد من «القرّايه» في مستوى متقارب حول زميل لهم يُقْرِئهم القرآن بصوت مرتفع مؤتلف ، وقد ترتفع أصوات الطلاب جميعاً بالقراءة من سور مختلفة لا يلوي أحدهم على الآخر ، ولا يتأثر به ولا يؤثر فيه ، وقد يفتعل المعلّم هذا الأمر عند معاقبة أحد طلاّبه حتى لا يسمع الناس خارج المدرسة صراخه ، وفي هذه الحال يحث بقية الطلاب على رفع أصواتهم بقوله «صجّوا صجّة الطّلعه» (والصجّ : ضرب الحديد على الحديد ليصدر صوتاً ، والصجج : ذلك الصوّت) .

أدوات التعليم :

لكل طالب لوح يملكه من الخشب البسيط مستطيل الشكل ، في أعلاه نتوء مثقوب يربط فيه خيط للحمل والتعليق ، يحضره كل يوم (وبخاصة في بداية عهده بالتعليم في طفولته) يكتب

عليه المعلّم درسه من الحروف أو الايات أو السور، فيُكِبُّ على تعلمها في المدرسة والبيت ، ويعود به في اليوم التالي مغسولاً بالماء ، ومبيّضاً بالصّالوخ» وهو نوع من الجير الأبيض يؤخذ من أحد الجبال المحيطة بالبلد ، (لعلّ كلمة «الصالوخ» محرّفة من كلمة «الصاروج» من النّورة وأخلاطها) .

ويؤخذ القلم من نبات القصب ، ويبري طرفه بسكين صغيرة (مِبْراة) ليلائم صاحبه .

ويؤخذ الحبر من آثار نار الحطب أو الرّوث أسفل قدور الطبخ أو أسفل (المِقْرصة) وهي صفحة مدورة ومُقببة من الحديد تخبز عليها أقراص الخبز الرقيق من القمح (قِرْصان) في غالب بيوت القرى والمدن .

وتَنحت دواة الحبر المستطيلة من الخشب ، ويحفظ فيها (مع الحبر) القلم .

مبنى المدرسة :

في طَرَف سوق البلد بنيت مدرستي من الطيّن والتِّبن ، وسقفت بحريد النخيل وخشب الأثل المغطى بالطين والتبن ، وبنيت سواريها الأربع من الأحجار البسيطة المستديرة .

وتتكوّن المدرسة من غرفة واحدة مربّعة ترتفع في وسطها (نحو ذراع) دكّة مفروشة بحصير من سعف النخل يجلس عليها المعلّم ، ويجلس الطلاب على الأرض حوله كما كان يفعل الطلاب قبل مئات أو الآف السنين ، فأسلوب المعيشة لم يتغيّر في جزيرة العرب (وبخاصة في نجد) من آلاف السّنين حتى منتصف العقد الثالث من القرن الرابع عشر للهجرة . (وتصوّرُ إحدى لوحات الفنّ الأوروبي الكلاسيكي جوّ التعليم الأوروبي قبل عصر النهضة بما يماثل جوّ التعليم في مدرستي الأولى، مماثلة دقيقة وغريبة بين عالمين مختلفين لا صلة لأحدهما بالآخر) .

والتعليم غرض واحد من عدّة أغراض يخدمها هذا المبنى البسيط ؛ فهو بيت للغريب حتى تنتهي غربته بالاستيطان أو النزوح ، وهو مكان لحفظ مكاييل التجار وموازينهم ، وكان (قبل أن أعرفه) يستعمله أي فرد من أهل البلد لاستقبال أضيافه إذا لم يكن في منزله متّسع لذلك ولأن النار توقد فيه لطلب الدفء أو لصنع القهوة أو لصنع «الشاي» من الليمون الأسود المجفّف والسّكر النّباتي للضيفان ؛ اسودّت جدران المبنى وسقفه وسواريه .

التعليم العام المستورد

المدرسة الابتدائية

بعد عام من ملازمتي المدرسة (القرآنية) فتحت أول مدرسة ابتدائية حديثة في شقراء (عاصمة الوشم) عام ١٣٦٠ هـ ، وحاولت الانتقال من جوّ البساطة إلى التكلّف ، ومن الفطرة إلى الافتعال ، ولم أكن مهيّئاً بطبعي لذلك فعدّت إلى المدرسة (القرآنية) وقضيت عاماً آخر ، ثم كان ما يتوقّع من تغلب النمط الوافد للإدارة المدرسية فلم يترك مكاناً لمنافسة .

التنظيم :

تتمتع المدرسة الجديدة بمظهر يبهر عواطف العامّة : غرفها وأثاثها ودروسها وموّظفيها ؛ فالمعلّم لم يعد «مطوّعاً» بل أصبح «أستاذاً» مثقفاً ، يحصل على مرتب حكومي لا يحصل عليه غيره (٢٥ إلى ٧٠ ريالاً شهرياً في ذلك الوقت) ، ولم يعد يجلس على الحصير فوق دكّة من التراب ، بل صار له كرسي من الخشب أو الخيزران ، وطلاب العلم لم يعودوا «قرّايه» بل أصبحوا «تلاميذ» يجلسون على الحصر ثم على مقاعد الدراسة بعد التراب

وحوصر العلم بالأنظمة الأوروبية : تنطلق «الصفارة» فيبدأ التعلّم ، وبعد ٤٥ دقيقة تنطلق «الصفارة» فيتوقف التعلّم ،، مما لا يتّفق مع طبيعة المتعلّم ولا المعلّم ولا العلم ولا التعلّم ، ولكنّه يسهّل الأمر على إدارة المدرسة التي اتجهت في عصر النّهضة الأوروبية إلى تقديم ذواقة[١] من عدة فنون لأكبر عدد من المواطنين في سنّ التعليم ، عوضاً عما جرت به العادة (منذ بداية التعليم في التاريخ البشري) من تقديم الكثير من العلم الدّيني والفكري إلى النخبة ، وهم الأقلّون في كل مكان وزمان .

واتخذ التعليم طريقاً واحداً ذا اتجاه واحد : الاستاذ يتكلم - من بداية الحصّة إلى نهايتها - والتلميذ يستمع ، ويفترض أن يستوعب كلّ ما سمع . وأنى للعقل البشري - وبخاصة في مرحلة الطفولة وبداية الرّجولة أن يبقى طيلة وقت الحصة واليوم والعام الدراسي على وتيرة واحدة من الانتباه للدّرس والإحتفاء به والرّغبة فيه ، وتبقى جوارح التلميذ ساكنة وحواسّه معطلة فلا أهمية هنا إلاّ لذاكرته وسمعه ؟

---

(١) أي طرفاً يسيراً من العلم كمن يتذوق الطعام على عجل .

سباق غير متكافئ ونتيجة غير عادلة وهدف متواضع :

يحرص التنظيم العصري للتعليم على تماثل أو تقارب التلاميذ في السّنّ ، في كل مستوى دراسي ، أمّا اختلافهم في القدرات والمواهب والرّغبات فلا يحسب له أي حساب . ولا يُحسب حساب لما بذلوا من جهد ، ومن باب أولى : لا يُحسب حساب لما انطوت عليه صدورهم من نية صالحة أو دون ذلك ، فعند الله وحده علم ما في الصّدور .

وحتى لو أن النّية ظهرت لما حسب لها التنظيم التّعليمي العصري أيَّ حساب ؛ فالغاية من الدراسة : الاجابة على أسئلة الامتحان بما يماثل الاجابة المبيّتة (النموذجية) ، والهدف النهائي : الشهادة الدراسيّة والوظيفة والمستوى المعيشي والاجتماعي .

وسنة الله في خلقه تخالف ذلك : حسب المكلّف وجزاؤه على صلاح النيّة وصلاح العمل وبذل الوسع : ﴿ **لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ ، ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾ و (إنما الأعمال بالنّيات) متفق عليه ، وفطرة الله أصلح وأحكم وأعدل . ولا عجب إذا توقف التعلم بالحصول على الشهادة الدراسية والوظيفة (الهدف

الأول والأخير) ، ولم يجد أكثر خريجي المدارس والمعاهد والجامعات رغبة في الحصول على المزيد من العلم ؛ وبخاصة العلم الذي لا يحقق الهدف المتواضع للتعليم العصري : الوظيفة ومنافعها الدنيوية .

تعدّد العلوم والفنون :

بعد أن كان كلام الله يستحوذ على المدرسة والدراسة ؛ نافسه - في التنظيم التعليمي العصري - علوم شرعيّة ، وفنون بشريّة أخرى لُزَّت في قرن معه (وما هي بالندّ له) فاستحوذت على أكثر الوقت والاهتمام .

أهم العلوم الشرعية التي جاءت بها المدرسة العصرية : التوحيد وفقه العبادات والمعاملات من نصوص الكتاب والسنة وفقه علماء الأمة في القرون الثلاثه المتصلة (وبخاصة : أحمد بن حنبل رحمه الله) .

ومن الفنون الطارئة : الجغرافيا ، والتاريخ ، والهندسة .

وفي حالات قليلة بدا أن بعض الفنون النظرية الطارئة تخالف المعتقدات أو «المسلّمات» المحلّية : فزع بعض الناس من فكرة

«كرويّة الأرض» ، ولكن الاعتراض لم يقم لورود ما يؤيد ذلك في بعض كتب العلوم الشرعية منذ مئات السنين . وفزعوا أكثر لفكرة «دوران الأرض» ورفعت شكوى إلى قاضي البلد (وهو أعلى سلطة بشريّة ذلك الحين) وكان القاضي الشيخ / محمد بن إبراهيم البواردي رحمه الله (بمرونته وحبّه للمرح) خير من يقضي في هذه الملّمة ، سأل المعترضين باللهجة العامية : يقولون توّهَا بادية تدور؟ ويجيب المعترضون : لا ، يقولون من يوم الله خلقها . قال القاضي : الحمد لله ، هانَتْ ، مادامت بيوتنا في مكانها ما غيّرها الدّوران؛ فالأمر من سعة .

ومع مزاحمة الفنون الطارئة للعلوم الشرعية في المدرسة العصرية فقد كان الاهتمام بالعلم الشرعي في المدرسة الابتدائية ذلك الوقت أقرب للشّرع والعقل مما انتهى إليه الأمر الآن ، ولا يزال الاهتمام بالعلم الشرعي في «المملكة العربية السعودية » خيراً منه خارجها . والعلم والعمل الشرعي هو سبب الوجود البشري : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وأهَمُّ وأعلى أقسام العلم والعمل الشّرعي توحيد الله بالعبادة الذي أرسل الله به جميع رسله إلى

كلّ خلقه من الجنّ والإنس : ﴿ وما أمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو ﴾ ، ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

ولأن هذا العلم الشرعي وما يصاحبه من اعتقاد وعمل ، هو الأمر الجلل الذي سيحاسب عليه صاحبه في قبره ويوم حشره ، كان هو «العلم» في دروس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي خطبه يوم الجمعة لا يشاركه فيها أمر من الأحداث والطوارئ مهما بلغ شأنها ، وكان هو «العلم» في دروس وخطب خلفائه وأصحابه وتابعيه حتى القرن الرابع عشرة للهجرة . وكنا ندرس في المدرسة الابتدائية الأولى : «كشف الشبهات والعقيدة الواسطية» في مادة التوحيد ، و «زاد المستقنع» في مادة الفقه .

ولأن المقلِّد لا يقف على أرض ثابتة : فقد تذبذب تطوير المنهاج التعليمي بين رأي ورأي ، وبين تجربة وأخرى كان هاجسها المشترك : زيادة نسبة النجاح ، فالامتحان هو المهيمن على المؤسسة التّعليمية بمختلف أنواعها ومستوياتها .

المعلّمون :

كان مدير مدرستنا الابتدائية ومعلموها (من المدينة المنورة) من خيرة المعلمين فقد كان الانتقاء يومها سهلاً لقلّة عدد المدارس ، (وقد عيّن مديرها الشيخ/ عبد المجيد حسن فيما بعد إماماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعضواً في هيئة التمييز ، وعضواً في هيئة كبار العلماء ، وعيّن اثنان من معلميها في إمامة المسجد النبوي) ولحق بهم عدد من خيرة طلاب العلم في المنطقة أذكر ممن توفاه الله منهم :

١) إبراهيم بن محمد بن جهيمان رحمه الله ، لازلت أذكر درسه في الطهارة والصّلاة كأنه أمامي الآن : مكاناً وزماناً وأفراداً . كان يحوّل الدرس في الصف الثاني الابتدائي إلى تمثيليّة خفيفة الظلّ بالغة الأثر يشترك في تنفيذها الجميع . يخلع المعلّم والتّلاميذ طواقيهم (أغطية رؤوسهم) ويضعونها على الأرض مثل آنية الوضوء ، ويبدأ المعلم تمثيل الوضوء يتابعه الأطفال في كل حركة ، ثم يؤم المعلّم تلاميذه في تمثيلية الصلاة مورداً جميع الأحكام «المقررّة» فيها بما في ذلك قتل الحيّة والعقرب إذا عرضت للمصلي .

٢) إسحق كردي رحمه الله ، قدم من «ديار بكر» في تركيا إلى «المدينة» وأقام فيها أكثر سنّي حياته المديدة، ولم يتخلص لسانه من العجمة ، ولكنه علمنا أنواع الخط العربي ، وأعظم من ذلك تعلمنا منه التّلاوة وأحكام التجويد ، وعرفنا منه لأول مرة كذلك : بدعة التباهي بالتّلاوة على أكثر من قراءة .

٣) إبراهيم الهويش رحمه الله ، وقد عيّن قاضياً في بعض القرى المجاورة بعد تركه التدريس . وكان (علمه وفضله وإخلاصه في عمله) يتجاوز بنا حدود المدرسة الابتدائية : أذكر أنه رحمه الله بحث معنا مسألة وصف الله سبحانه وتعالى الشرك بأنه ظلم عظيم ؛ هل هو ظلم من الإنسان لنفسه أو هو ظلم منه لربّه ، فاختار بعض الأطفال - وكنت أحدهم - الرأي الأول بدليل قوله تعالى : { وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون } ، واختار الشيخ رحمه الله وبقية الأطفال الرأي الثاني بدليل قوله تعالى : { وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين } . ويوم امتحان نهاية العام الدراسي أعاد الشيخ «أسكنه الله الجنة) عليّ السؤال ، فذكرت رأيه وأكدت التزامي برأيي ، فقال رحمه الله : إذن ينقصك درجة ، (ربما

لأن الطفل محكوم شرعاً وعقلاً بطاعته لله ولرسوله ولوليّ أمره (المعلّم) لا برأيه) . ولكن المهم أن من عرف الآن ما وصل إليه مستوى الدراسة العصرية سيأخذه العجب مما ذكرت : عرض قضية خلافية لا يحتويها المقرّر الدراسي في أدنى مراحل التعليم ، ومقارعة الحجّة بالحجّة بين طالب العلم الطفل وبين زميله وبينه وبين المعلم .

الأدوات والوسائل التعليمية :

كان لوح الكتابة أبيض خاصاً بصاحبه ، فأصبح أسود عاماً لجميع الطلاب . وعرفنا لأول مرّة الاقلام المستوردة والحبر المستورد . وفي الصف السّادس الابتدائي قرر علينا درس الهندسة فعرفنا الأدوات المستوردة لرسم الدائرة وقياس الزاوية ، إضافة إلى الكتاب المدرسي .ولم أعرف بوجود وسيلة للإيضاح تزيد على ذلك حتى تخرجت من كليّة الشريعة بمكة المباركة عام ١٣٧٦ هـ .

« دار التوحيد »

انتقلت في آخر سنة من مرحلة الطّفولة إلى «دار التوحيد» بالطائف ، لأنها السّبيل الوحيد عام ١٣٦٨ هـ لمواصلة الطالب (في وسط وشرق المملكة) دراسته . كان تأسيس هذه المدرسة عام ١٣٦٤ هـ توفيقاً من الله لولاة الأمر في بلد التوحيد والسّنة ؛ أمر بإنشائها الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله لتُقدِّم علوم الشريعة بطريقة عصريّة لتلائم الانفصال بين الماضي والحاضر وبين التعليم والعلم اليقينّي ، وكانت فتحاً مبيناً وباباً واسعاً وحيداً للعلوم الدينية العامة (فوق مستوى المرحلة الابتدائية) يجلب إليها الشباب طوعاً أو كرهاً من مختلف أنحاء المملكة وبخاصة نجد ، ووفرت لهم الدولة ما لم يحصل عليه غيرهم من قبل من العلم الجيد والمعلم الجيد والمعيشة الجيّدة، ووفر طلابها لأنفسهم تسلية أدبية جيدة في ناديهم المتميّز .

المعلمون :

اختار لها الشيخ / محمد بن مانع رحمه الله مدير المعارف (قبل أن تحوَّل إلى وزارة بعد ذلك بعشر سنين) : الشيخ / محمد

بهجت البيطار خير علماء الشام في وقته عقيدة وفقهاً وخلقاً ليقوم على إنشائها وإدارتها ، واختير لها عدد من خير علماء الأزهر التزاماً بالتوحيد والسنة وعلى رأسهم الشيخ / عبد الرزاق عفيفي رحمه الله (نائب المفتي في المملكة فيما بعد) والشيخ طه السّاكت رحمه الله (عضو لجنة الافتاء بالأزهر) . ومن أبرزهم في تدريس اللغة العربية الشيخ عبد اللطيف سرحان رحمه الله ، كان درسه في شرح ابن عقيل يجمع بين العمق والأسلوب المحببّ والخلق القويم .

نمط جديد في الحياة :

وبانتقالنا من القرية إلى القسم الدّاخلي في «دار التوحيد» ، انتقلنا إلى عالم جديد يختلف كلّ الاختلاف عما تعّودناه من طرق المعيشة في وسط جزيرة العرب لأنها كانت محجوبة عن تأثير الثقافات خارج الجزيرة بموقعها الجغرافي البعيد عن طرق البرّ والبحر الرئيسية وفقرها الظاهر فيما يجذب المستعمرين من الشرق أو الغرب ، وكان ذلك قدراً من الله ورحمة منه وتطهيراً لهذه البقعة المباركة من دنس الاستغلال والتسلط النّصراني ، وجور وبدع وشرك بعض المنتمين للإسلام .

تعرفنا على البناء الحديث والسّقوف المشيّدة المنقوشة من الطراز التركي ، وقد كنا نعيش ولله الحمد مع الغنم والبقر اختياراً ومع الخفافيش والخنافس والسحالي اضطراراً ، ومع ذلك كنا أكثر ذكراً لله وتعلقاً به واتكالاً عليه : إن تأخر المطر دعونا الله وتضرعنا إليه لنجد ما نأكله ، وإن جاء الله بالمطر دعوناه وتضرّعنا إليه ألا يزيد المطر عما تحتمله بيوت الطّين والتّبن والخشب .

تعرّفنا على ألوان جديدة من الطعام وفدت مع الحجاج من أمصارهم لم نكن سمعنا لها اسماً ولا تذوّقنا لها طعماً : تعلمنا أكل الفول من مصر وخبز التميس من بخارى «وكبسة» الرز من تركستان «وشكشوكة» البيض من تركيا .

وبعد بضع سنين عرفنا الكهرباء ، ومن بابه الواسع جاءت الرفاهية وما يصحبها من كسل وغفلة واعتماد على الأشياء وبالتالي : ضعف في التعلق بالله .

هدف التعلّم :

لازمني في دراستي منذ الابتدائية حتى تخرجت من كلية الشريعة : فقد الهدف المشروع لتعلّم الدّين أو المعقول لتعلّم الفنون الدّنيويّة . وجدت نفسي (ككل طفل) ملزماً عرفاً بدخول المدرسة

الابتدائية ، ثم انتقلت إلى دار التوحيد ثم إلى كلية الشريعة لأنها الطريق الوحيد لمواصلة الدراسة .

لم تكن الوظيفة أو المهنة من قبل تَلقي بأي ظلّ على التعليم لندرة الوظائف الحكومية ، وأما المهن فلم تكن المدرسة تعدّ طالب العلم لها إعداداً يذكر ، ولم تكن تتطلب شهادة دراسية نظرية (قد تفيد قليلاً وقد لا تفيد كثيراً على محك الواقع)وإنما يحصل عليها من أثبت أهليته لها مهارة وعملاً تشهد بهما الخبرة والتجربة . وكم تمنيت (وطالبت فيما بعد ، حين التفتّ إلى وجوب إصلاح التعليم) لو تخلص التعليم من رباطه العرفي المفتعل بالوظيفة وما تمليه من امتحانات وتعقيدات تعوق التّعليم وتقيدّه وتفسد الهدف منه أكثر مما تفيده .

كانت دراستي محاولة للجمع بين كثير من اللعب وقليل من أداء الواجب ، ولم يخطر ببالي الاستفادة من علم ولا علماء دار التوحيد وكليّة الشريعة فضلاً عن «معارف» المدرسة الابتدائية . وبالمناسبة فلقد اكبرت ثبات ولاة الأمر في المملكة على كلمة «معارف» عنواناً للسّلطة التعليمية فيها بدلاً من وزارة التربية والتعليم ؛ استثناء من اتجاه العالم العربي للتغيير لذاته ، لأن

كلمة «معارف» تصدق على العملية التعليمية العصرية أكثر من وصفها بالتربية والتعليم ، إذا قيست نتائجها بمقدماتها وما يبذل فيها من جهد ووقت ومال وما يعطل أثناء ذلك من طاقات عقلية ونفسية وعاطفية[١] كان يكفيني من المدرسة الحصول على درجة النجاح والانتقال إلى صف جديد ، وحصّلت دائماً على هذا المطلب المتواضع دون جهد يذكر ، وذلك من فضل الله وحده ؛ فهو سبحانه وتعالى (بعدله) يعطي كل عبد من عباده نتيجة عمله على قدر نيّته وعلى قدر جهده : ﴿ **ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ ، ﴿ **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين** ﴾ .

وهكذا .. فعندما تغيّرت ظروف دراستي ومعيشتي في مكّة المباركة في كلية الشريعة بعد ذلك وانتقلت إلى الحياة الفردية من الحياة الجماعية ووجدت تنافساً على الأسبقية في درجات الامتحان، اتجهت إليها وبفضل الله حصلت على المرتبة الأولى في السنّوات الثلاث الأخيرة ، ولكن (في غياب الهدف الشرعي لطلب العلم الشرعي) ما كانت حصيلتي الدّراسية تتجاوز كثيراً ورقة الامتحان ويوم الامتحان .

---

(١) وتغير اسم وزارة المعارف أخيراً للأسف ..

« كلية الشريعة »

كانت كلية الشريعة بمكة المباركة قد أنشئت عام ١٣٦٩ هـ لاستقبال خريجي دار التوحيد فهي الطريق الوحيد المفتوح لهم لمواصلة الدراسة في الداخل والخارج ، وكانت أول مؤسسة للتعليم العالي في المملكة ونواة للكليات والجامعات بعدها في مكة المباركة وفي غيرها من أرض الجزيرة المباركة مهد الدّين وموئله .ولأنها الأولى في التعليم العالي فقد صارت شهادتها لعدد من السّنين تذكرة مضمونة للحصول على الوظيفة الرّسمية في التدّريس أو القضاء أو الإدارة ، ولشعوري بعد التخرج عام ١٣٧٦ هـ بالعجز عن الأولى والثانية اخترت الثالثة .

الحدود الزمنية للدّراسة :

الدافع الأول والأخير في القيود الزّمنيّة للدراسة العصرية من البداية إلى النهاية : التقليد الشرقي للنظم الدراسية الغربية ، لا الشرع ولا العقل ولا متطلبات الظروف المحلية .

وقد نجد تفسيراً معقولاً لاختيار أوروبا (في عصر النهضة)

حدودها وقيودها الزّمنيّة للإدارة المدرسية ، ولا نجد بأساً في محاكاتها فيما يتعلق بتحديد بداية مراحل التعليم العام :

١ - تبدأ الدِّراسة الابتدائية في سن السّادسة عندما يبلغ الطفل من النموّ ما يؤهله للإنفصال ساعات في اليوم عن مراقبة أبويه وأمن بيته من الصباح إلى الظهيرة (ساعات الغياب عن البيت في المستقبل) .

٢ - وعند بلوغه الثانية عشرة (سنّ التمييز) تبدأ مرحلة الدّراسة الاعدادية أو المتوسطة .

٣ - وعند بلوغه الخامسة عشرة (سنّ البلوغ) تبدأ مرحلة الدّراسة الثانوية .

٤ - وفي سنّ الثامنة عشرة (سنّ الرشد) ينهي مراحل التعليم العام ، وينتقل إلى المرحلة النهائية المستمرة من حياته العلميّة والعملية .

ولكني لا أجد تفسيراً شرعياً ولا عقلياً للإلتزام بتنظيم تقليدي يسبق هذه المراحل أو يلحقها :

١) الطفل قبل بلوغ السّادسة من عمره غير مهيّئ (بأيّ مقياس) للاستغناء عن رعاية أمّه وأمن منزله . وقد أعذُرُ الغربيين

وغير المسلمين عامّة في ابتداعهم «روضة الأطفال» ؛ لأن الحصول على المتاع الدّنيوي والأسباب المتطورة للرّفاهية يقتضي عمل المرأة خارج المنزل واستغلال وقتها في طلب المال ، وعلى هذا فلابّد من تحريرها من واجبات الأمومة وواجبات الزوجية (الأمرين الذي خلقها الله لهما بعد عبوديتها له) ، ولكن كيف يعذر مسلم (يقوم إسلامه على أنّ غاية وجوده : رضى الله وثوابه باتباع شرعه وفطرته التي فطر الناس عليها) باتباع خطا عدوّه المنحرفة عن الشرع والفطرة والعقل في تنحية الطفل ليسهّل للمرأة مخالفة أمر الله لها : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ وحثّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها أن تصلي في بيتها . وأن ذلك خير لها من الصلاة معه في مسجده ، فكيف بخروجها لطلب المال في غير ضرورة ؟ وماذا يجني الطفل في مقابل ما يفقده ؟ لقد أظهر بحث تربوي مشهور استمر سبع سنوات في سويسرا أن الفرق (بين الطفل الذي درس في الرَّوضة والذي لم يدرس) إذا وجد ، يزول أثره في الصّف الرابع الابتدائي على الأكثر .

٢) وكليّة الشريعة وعلوم الشريعة أخضعت أيضاً للتقليد الذي لا يَعقل ولا يُعْقل . فقد حدّدت سنوات الدّراسة فيها بأربع سنوات

لمجرّد أن كلية الآداب أو كلية الاقتصاد والعلوم السياسية كذلك ، وعلى النهج نفسه حدّد عدد الشهور والأيام والدّقائق ، حتى الأسماء نقلت أو غيّرت وفقاً للهزيمة النفسية ، يروى عن «طه حسين» أنه قال : كان الأزهر جامعاً فمسخوه جامعة .

علوم الشريعة بطبيعتها وأحكامها لا يصلح للحدود والقيود والتجزئة التقليدية : عدد محدد وموحّد من الدقائق لبدء التعليم ونهايته ، وعدد من الساعات أو الدرجات للتخرج ، وربط طالب بطالب لا يماثله في الموهبة ولا الرغبة ولا الحاجة ، وربط مادة دراسية بمادة أخرى لا صلة لها بها ، والتركيز على جزئيات صغيرة من العلم على حساب كليات عظيمة لا يجوز الفصل بينها ولا التفريط فيها ، وعدد محدد موحد من السنوات الدراسية لجميع علوم الشريعة ولجميع طلابها رغم اختلافها واختلافهم .

العلم والمعلمون :

كانت كلّية الشريعة في مكة المباركة أوّل مؤسسة للتعليم العالي الشّرعي في جزيرة العرب (كما أشرت من قبل) ، «وقُرِّرَت» فيها مراجع قيّمة في التوحيد والفقه وأصوله والحديث ومصطلحاته والتفسير وعلومه واللغة العربية . واختير لها خير

المعلمين من الأزهر ، ولكن النّظم والقيود التقليدية حولتها (مثل غيرها من الكليات والجامعات بعدها) إلى «مفرخة» لموظفي الدّولة ، وتحّولت عملية التعليم فيها (مثل مادونها من المدارس) إلى ميدان سباق وقفز للحواجز المفتعلة يضمن الوظيفة ولا يحقق جزاء الله الذي أعدّه لطالب علم شرعه .

من أبرز القائمين على كلّية الشريعة (زمن دراستي فيها) : الشيخ عبد الله خيّاط رحمه الله ، كان مديراً للكلية ، وكان من خيرة القائمين عليها التزاماً بما ألزمنا الله به من العقيدة الصحيحة، والسّنة في العبادات والمعاملات الشرعية والدعوة إلى ذلك . ومن أبرز معلميها : الشيخ / محمد متولي الشعراوي رحمه الله وسهل لنا وله طريق الجنّة ، كان يدرّسنا البلاغة ، وهو من نوادر المعلمين في اللغة العربيّة عمقاً وأسلوباً ، وذلك سُدَى شهرته ولحمتها بالأمس واليوم (وليس الفقه في كتاب الله وسنة رسوله على نهج الأئمة في القرون الثلاثة المفضلة) . ولكن العلوم الشرعية قد أخضعت لسلطان اللغة والبيان ، وتفسير القرآن الكريم (وبخاصة) ، وهو أعظم العلوم وأهمها (لأنه قول علي الله وبيان لكلماته) قد تعرّض لهجوم الأساليب اللغوية العصرية

ممن لم ينتبهوا إلى خطر وإثم القول على الله بغير علم من شرع الله ولا فقه في نصوص وحيه ولا إحاطة بفقه علماء الأمة الأول .

وغالب كتب التفسير في القروون المتأخرة (وبخاصة القرن الأخير) تنهج واحداً من طريقين ضالين عن هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن سبيل المؤمنين به من أصحابه وتابعيه :

١ - اخضاع معاني القرآن للأساليب اللّغوية والفكريّة المتأخرة (فلسفية أو صوفيّة أو «أخيراً» صحفية) .

وكان الواجب والحقّ والعدل أن تخضع اللغة العربية رسماً وقاعدة وأسلوباً للقرآن الكريم فهو أصحّها وأفصحها وأنقاها وأوضحها . وهو وحده المتعبّد به .

٢ - البرهنة والاحتجاج الروحي للوحي اليقيني (من الله على رسوله) بالنظريات الطبيعية العصرية الظنيّة المنقولة (دون تمحيص) من أعداء دين الله .

وكان الواجب والحقّ والعدل ألاّ يربط اليقين من الله بالظنّ من خلقه في مثل هذا الأمر إثباتاً ولا نفياً ، بل يُحْكم بالقرآن على غيره (من كلام البشر) لاظهار دين الله واسقاط أديان الضلال ، ويُنزه كتاب الله عن نظريات البشر القاصرة إطلاقاً . والإعجاز

العلمي للقرآن لا يكون إلا فيما جاء به الوحي ، لا يكون في موافقته (على فهم المتأخرين) لنظرية ظنيّة في فهم جزئي محدود للكون قد يتغيّر أو يتطوّر أو يظهر خطؤه أو نقصه كما حدث لكثير من النظريات الكونية من قبل ومن بعد ؛ فيتبع ذلك شك المنقف المعاصر في صدق كتاب الله .

والواقع أنّ كل من ولغ في هذه البدعة من «طنطاوي جوهري» في تفسيره «الجواهر» إلى «مصطفى محمود» في : «محاولة لفهم عصري للقرآن» لم يتوفّر له العلم الشرعي الذي يعصمه من القول على الله بلا علم ، ولا الاحاطة بالنظريات الحديثة في الكون والقدرة على تمحيصها ، فجميعهم قاصرون في الأولى والثانية .

« بين الوظيفة والدّراسة »

التّدريس :

عيّنت على وظيفة «مدرّس» في المرحلة الثانوية عام ١٣٧٧ هـ في المرتبة الخامسة (في النظام القديم براتب قدره ٩٧٥ ريال . ولو أوتيت القدرة على أداء هذا العمل العظيم (موهبة أو تأهيلاً) لما ابتغيت له بديلاً ، وبخاصة إذا كان البديل قضاء وقت العمل على مكتب رسمي بين كاسات الشاي والجرايد وقليل أو كثير من الأوراق الرّسمية الرّوتينيّة التي لا تفيد الموظف ولا الوظيفة كثيراً ، بل إن أكبر مشكلات الإدارة المعاصرة في أكثر البلاد العربيّة كثرة الموظفين وكثرة الأوراق بما يتجاوز حدود الضرورة . ولم أكن في شوق إلى استمرار التعلّم طمعاً في مزيد من العلم ، ولكنه كان الحلّ الوحيد المناسب لتأخير المواجهة مع العمل الرسمي ، وللتعرّف على حياة مختلفة وثقافة جديدة .

الدّراسة المهنيّة والعليا :

لم أجد غير منحة للدراسة في معهد المكفوفين بالقاهرة فركبتها وزاوجت بين الدّراسة في معهد المكفوفين صباحاً (حيث لا أذكر

أني تعلمت من غير الكتابة بطريقة «بريل») ، وبين الدراسة في معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية مساء . ولما كان قسم الأدب العربي في هذا المعهد الأخير أوسع التخصصات أفقاً وأقربها إلى نفسي (على بعده) إخترته وقضيت عامين في استعراض أدباء مصر وبعض الدول العربية واستعراض مناهج الأدب العربي في القديم والحديث .

وبعد عامين أنهيت الدّراسة في المعهدين : المهني والنظري وعدت مرغماً للعمل الإداري الذي لم أعرفه بعد ولم أؤهل له ولم أطمح إليه .

خبير في التعليم الابتدائي بلا خبرة :

عيّنت بالشهادة الدراسية الجديدة (الدبلوم العالي) على وظيفة بالمرتبة الرابعة عام ١٣٧٩هـ ، وكان عنوانها : «خبير في التعليم الابتدائي» ولم تكنّ خبرتي فيه تتجاوز دراستي في المدرسة الابتدائية قبل اثنتي عشرة سنة ، ولكنّ النظام المالي كان يقتضي ملء الوظائف الشاغرة والتغاضي عن حقيقة عمل الموظف وخبرته.

من نعم الله عليّ (ولا حصر لنعمه) أن فطرني على عدم الاهتمام بالمظهر الذي يحكم حياة الانسان المعاصر ، وكان مدير

الإدارة (د. عبد الله الوهيبي) من نوادر مواطنيه (في الذكاء والعلم والعمل) اختار لي مشاركة رئيس قسمي في مكتبه ظنّاً منه أنّي أهل للتعلم منه أو للقيام بعمله في المستقبل ، ولم أرغب في مضايقة الزّميل (رحمه الله) ولا مضايقة الإدارة في المطالبة بكرسيّ ومكتب فأخذت أوراقي وجلست على الأرض إلى صندوق من الحديد معدّ لحفظ أوراق الامتحان . (والامتحان بلغ به التعقيد وهالات السّريّة والقدسيّة إلى سجنه في خزائن الحديد ، وفي غرف خاصة وراء القضبان كالنقد المالي ، ومثل النقد المالي صار هو الغاية والحَكَمُ والآمر الناهي في كلّ مراحل التعليم والعمل) . وربما احتسب مدير الإدارة وفقه الله هذه الصّفة (ولا أذكر غيرها) نقطة في صالح مستقبلي الوظيفي فسعى إلى تعييني (ولم يمرّ عليه في العمل الرسمي أكثر من عام) مديراً لإدارة تشرف على البعثات الدّراسية في الخارج (إدارة البعثات الخارجية) .

دراسة اللغة الأجنبية :

لأن وظيفتي الجديدة تتطلب معرفة اللّغة الانكليزية حصلت على بعثة لدراستها في انكلترا مدة عام ١٩٦١م وتبيّن لي أن من لم يدرس «اللغة الأجنبية الثانية» من قبل ، ومن درسها ست سنوات

في مراحل التعليم العام يتساويان في مدى فقرهما وحاجتهما إلى إجادة اللغة . فكلاهما يحتاج إلى سنة دراسية إضافية للوصول إلى مستوى في اللغة يؤهله لاستعمالها قراءة وكتابة وفهماً ، وبخاصة : مواصلة الدراسة في جامعة غير عربيّة . إذن .. لماذا كل هذا الاهتمام والجهد وتضييع الوقت في الدراسة العامة للغة الاجنبية إلى درجة توقف كثيراً من الطلاب عن مواصلة التعلّم في المعاهد الدّينية والمهنية فضلاً عن المدارس العامة ؟

الإدارة العامة للثقافة :

بعد أربع سنوات من عودتي إلى العمل نقلت للإشراف على الإدارة العامة للثقافة وهي تضّم إدارات البعثات الخارجية ، والآثار ، والعلاقات الثقافية وكالعادة لم يكن نقلي لأهليتي لعمل أكبر ، وإنما لمصلحة موظف جديد منقول من الخارج إذ تهيّئ له إدارتي السّابقة الصلة بالخارج . وحين وجدت أن من غير الممكن المواءمة بين قدراتي المحدودة والقيام بالعمل الواسع الجديد بدرجة مرضية ؛ قرّرت اللجوء إلى المهرب القديم : الدراسة لا لذاتها بل وسيلة للتخلص من غيرها .

دراسة الإدارة :

ذهبت لدراسة «الإدارة العامة» في جامعة «جنوبي كاليفورنيا» في لوس انجلس عام ١٩٦٨ م لعلي أكون بعدها أكثر أهلية للعمل الإداري ، ولكن المرحلة الأولى من هذه الدراسة وهي تقدّم عيّنة من كل ما سأدرسه في الإدارة أيّدت قناعتي القديمة إثر دورة تدريبية في جامعة «بتسبرك بنسلفينيا» قبل أربع سنوات عام ١٩٦٤ م : تعتمد الإدارة العامّة على الحسّ السليم والخلق القويم أكثر من اعتمادها على الفكر ، مثلها مثل معظم الوظائف المهنية البشرية ، فغيرت وجهة دراستي في الجامعة نفسها إلى التربية : أسسها الفلسفية والاجتماعية والنفسية .

دراسة التربية :

كان ولداي يقتربان من سنّ التعليم العصري ، وقد يكون من المفيد لي ولهما أن أطّلع على مختلف النظريات التربوية لعلّي أقف على أرض ثابتة في أسلوب تربيتهما . ومن ناحية أعمّ : رغبت في التثبت من متانة الأسس التي بُني عليها التعليم المعاصر ، بل كان يهمني التثبت من وجود هذه الأسس على الاطلاق ، فلو كانت موجودة وثابتة فلماذا كل هذه الحيرة

والتـذبذب والتـخـبط والركض وراء كلّ ناعق «تربوي» وحـالة التقليد التي نعيشها لم تحوجنا إلى أكثر من النقل الحرفي الشكلي دون مـحـاولـة للتـعـرف على الحـقـيـقـة وراء الظـلّ (في لغـة أفلاطون) .

وحصلت على درجة الماجستير في التربية عام ١٩٧٠م ، وآه من «تغريب الألقاب العلميّة» كما يقول الشيخ / بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في كتابه بهذا العنوان . وحصلت على قناعة تامّة بأن النّظريّات التربويّة الغربيّة منذ أفلاطون (وهي عائمة على السّطح غير راسخة الجذور في الأعماق) لا تحكم مؤسسات التّربية المعاصرة ، بل إن عمليّة التربية والتّعليم منذ بداية عصر النهضة الأوروبيّة لم تؤسّس على ثابت من هذه النظريات وإنما كانت الهيمنة للنظريات الإدارية لزيادة الانتاج الكمّي حتى انتهت إلى ما انتهت إليه الإدارة الصناعية عندما ابتكرت «مصانع فورد للسّيارات» : «خط الإنتاج» وهو لاشك ابتكار معقول وناجح فيما يتعلق بالانتاج الآلي ، وقد يصلح للتربية لو كان الانسان كما قيل : «مسمار في عجلة المجتمع» ولكنه ليس كذلك .

وبهذه القناعة رفضت شاكراً عرض الوزارة استمراري في

الدرّاسة للحصول على درجة الدّكتوراه فلن تحقّق علماً يجوز أن يطمح إليه ، وقد أغناني الله دونها عما يبتغيه أكثر طلابها من مال أو جاه .

وفي المقابل طلبت وحصلت من الوزارة على دراسة حرّة لمدة عام لا تحدّها القيود الزّمنيّة والمكانيّة للدراسة ولا حساب السّاعات والدرجات ، وكانت خير ما حصلت عليه من المزايا الإضافية للوظيفة ، وكانت فرصة نادرة في دراسة التربية من أوسع جوانبها وآفاقها ، وبخاصة في ذلك الوقت الذي كانت فيه أمريكا تقود العالم إلى التغيير الإنساني فيما سمّي بحركة أو ثورة الشباب ، والى البعث الديني فيما عرف بالصّحوة الدّينيّة بدءاً بالوثنيّة ثم النصرانية ثم بجمعيات الطلاب العرب والمسلمين .

وزاد يقيني في نهاية اغترابي للبحث عن سراب التّربية الحديثة أنها قامت على سلسلة من النظريات ، والنظريات المعاكسة ، ومحاولة الجمع بين النظريات المتناقضة ، التي ميّزت الفكر الغربي عامة ، وعلى سلسلة من التجارب والمحاكاة ؛ مما يجيز لي ولغيري إعادة النّظر في «مُسَلَّماتنا» التّربويّة التقليدية ، واستقراء التجّارب الإنسانيّة القديمة والحديثة والتعرّف على العقبات التي

تواجه عمليّة التربية والتعليم في بلادنا والبحث عن حلول محلّيّة حقيقيّة لا يُشترط انتماؤها إلى ثقافة معيّنة قديمة أو حديثة ، ولا يُمنع من اقتباس تفاصيلها من أي مصدر أو من غير مصدر معروف . فليس الخطأ في الاستفادة من خبرات الآخرين في النظم والوسائل والأساليب الدنيّوية ما لم تخالف شرع الله ، وإنّما الخطأ في الإلتزام بها والانتماء إليها وتهيُّب تصحيحها .

الإدارة العامة للتعليم الثانوي :

بعد عودتي إلى الوطن المبارك (الذي اصطفاه الله لأكمل رسالاته ولدينه الحقّ ولعباده المسلمين) عُينت عام ١٣٩٢هـ مديراً عاماً للتعليم الثانوي ، وحاولت منذ البداية تغيير العلاقات التقليدية بين الموظف ووظيفته ، وبين الإدارة المركزية في الوزارة وإدارة التعليم ، وبين إدارة التعليم والمدرسة ، وبين المدرسة وطلابها .

فبدأت بنفسي فأهديت أثاث مكتبي في الوزارة إلى ثانوية الملك عبد العزيز في الرياض رداً على مطالبة مديرها بأثاث جديد لمكتبه . وأقنعت زملائي (على مضض) بالاكتفاء مثلي بكرسي بسيط ومنضده عامة لا تحتوي على خزائن لحفظ الأوراق ، وفي

المقابل هيأت لي ولهم مكتبة تضم كلّ كتاب يحتاجونه لتنفيذ العمل أو تطويره ، واخترتهم جميعاً من السعوديين .

هذه البداية البسيطة مهمة جداً لتطوير علاقة الموظف الرسمي بعمله ، فقد طغى الشكل والمظهر على أكثر جوانب حياتنا وعملنا ؛ فاستحوذ على أكبر قسط من التفكير والجهد والنفقة والوقت ، بل تجاوز حدود الدّنيا إلى الدّين : فزُخرفت المساجد وحُلّيت المصاحف ولُحّنت التّلاوة والأذان والتسبيح في مخالفة لهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تقوم السّاعة حتى يتباهى الناس في المساجد) رواه أبو داود والنسائي . (إذا زوّقتم مساجدكم وحلّيتم مصاحفكم فالدمار عليكم) الصحيح ٣/١٣٥١ . (ما أمرت بتشييد المساجد) الصحيح الجامع ٥٤٢٦ ، وفي مخالفة لسبيل المؤمنين القدوة من الخلفاء والصحابة والتابعين وأئمة الدين في القرون المفضلة : {ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدي ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنّم وساءت مصيرا } ، وفي متابعة للوثنين واليهود والنصارى .

وصرفت ٨٠٪ من وقت العمل (تقريباً) في زيارة إدارات التعليم والمدارس الثانوية ومناقشة الإداريين والفنيين والمعلّمين

والطلاّب محاولاً إثارة التفكير والحوار واجتذاب الجميع - وبخاصة المباشرين للعملية التعليمية في المدارس - لقلب جميع أحجار التنظيم التعليمي في المملكة العربية السعودية ، وتنحية هالة القداسة الزائفة التي اكتسبها هذا التنظيم بمرور الزمن ، وإعادة النّظر في جميع النّظريات والتطبيقات التعليمية السّائدة ، وتعريضها للنّقد والتّمحيص ، وكشف العوائق المصطنعة التي تعترض أو تقطع طريق طلب العلم والبحث عن خير طرق علاجها واختيار البديل الأقوم .

« محاولة أولى للإصلاح »

في ١٣٩٣/٢/١هـ وبرقم ١٦/١١٩ قدّمت لوزارة المعارف وجهة نظري في الإصلاح المدرسي بعد مضيّ عام في مناقشتها مع جهات الاختصاص على كلّ مستوى ، وبخاصة في المدارس الثانوية في المملكة .

وبعد أكثر من نصف سنة من تخلّف الاستجابة أو الرّفض أو الاهتمام أعدّت بحث الموضوع مع إدارات التعليم والمدارس الثانوية للتذكير به .

الخـــلل :

تواجه الطّالب في المرحلة الثانوية أكثر من عقبة تهدّد مستقبله العلمي :

١ - ليس له - وقد بلغ مبلغ الرجال - أيّ اختيار يذكر في محيط دراسته ، وقد أهّله الله ببلوغ الحلم لمواجهة كلّ الاختيارات والحصول على كلّ الحقوق وتحمّل كلّ الواجبات في فطرة الله له . فلا عجب إن تعامل مع دراسته على أنها «شر لابد منه» لا يحسّ بالمحبّة لها ولا الرغبة فيها ، ولكن يأتيها لأنه مكره عليها .

٢ - إذا رسب في مادة واحدة (في الدور الثاني للامتحان) أعاد دراسة جميع مواد الدّراسة في العام الثاني .

٣ - إذا رسب عامين متتاليين في مادة واحدة طُرد من التعليم .

٤ - إذا تأخر دقائق معيّنة في أوّل اليوم الدّراسي مُنع من دخول المدرسة ذلك اليوم .

٥ - إذا تجاوز سنّاً معيّنة حُرم من الدّراسة .

٦ - هو مطالب بدراسة مواد عامّة مفروضة على الجميع ولو لم يكن له قدرة عليها ولا رغبة فيها ولا حاجة إليها ويكثر

رسوب الطلاب فيها مثل اللغة الانكليزية والعلوم الطبيعية والرياضيات سواء في المدارس الدينية أو المهنية أو النظرية .

٧ - لن تقبله الجامعة حسب قدرته أو رغبته أو حاجته ، ولا حسب متطلبات الدراسة فيها ، بل وفقاً للتنظيم الرّوتيني لتوزيع الخريجين من المدارس والمعاهد الثانوية على الجامعات ، إلى درجة أن الجامعة لا تقبل خريج معهد المعلمين في كلية التربية ولا خريج الثانوية التجارية أو الزراعية في التجارة أو الزراعة، بل لابّد من شهادة التوجيهي .

٨ - وأخيراً فإن شبح الامتحان مصدر قلق للطالب وولاة أمره ، ملازم لهم من بداية الدراسة إلى نهايتها ، وهو مخيّم على واقع الدّراسة : محتواها وتنظيمها ، وقد احتّل مكان الهدف الأول للتعليم ، بل الهدف الوحيد . وحوّل المدرسة إلى ميدان قفز للحواجز المفتعلة ، فمستوى الطالب لا يقاس بحسب محاولته وجهده وحدود طاقته ، وحسب ، وإنما يعتمد القياس أكثر على مقارنة أدائه بأداء غيره من زملائه . وعلى هذا يجب على الضعيف أن يتجاوز حدود قدرته ليلحق بمن هو أقوى منه ، وعلى القويّ أن يتباطأ حتى يلحق به من هو أضعف منه .

العـــلاج :

بما أن العقبات التي تعوق طالب العلم لا تعني المنهاج (أو المحتوى أو المقرر الدراسي) بالدرجة الأولى ، وإنما تعني التّنظيم الرّوتيني لتقديمه ؛ فقد رأيت التّركيز على تعديل أو تبديل هذا التنظيم أو الهيكل الإداري .

أهدافـــه :

١ - إعادة بناء هيكل التعليم الثانوي على نحو مرنٍ يتمشى قدر الاستطاعة مع أقدار الله على خلقه من حيث القدرة العقلية للطالب وظروفه الاجتماعية .

٢ - زحزحة الحواجز والرّوابط والمتطلبات المصطنعة في نظام التعّليم الثانوي من حيث الزّمان والمكان ، ومن حيث علاقة طالب بآخر ، ومن حيث علاقة مادة تعليمية بأخرى في دراسة الطّالب نفسه .

٣ - ضمّ شتات التعليم الثانوي في مدرسة واحدة وعلى مستوى واحد .

٤ - فتح مجال التعليم الجامعي لجميع خريجي المرحلة الثانوية في الدراسات الدينية والتّربويّة والمهنيّة والنظرية العامّة ؛ حسب اختيار الطالب مواصلة الدّراسة العليا وحسب متطلبات الكليّة التي يختارها .

٥ - تعويد الطالب (بانتقاله من الطفولة إلى الرجولة) على ممارسة مسئولياته وتحمل نتائجها .

تفاصيل التعديل :

١ - إلغاء جميع شروط القبول (ومن ضمنها السّنّ) عدا شرط :إنهاء الطالب المرحلة الاعدادية أو ما يعادلها .

٢ - يخيّر الطالب في انتقاء موضوع دراسته ، ولا يلزم إلا بما ألزمه الله به : علم شرعه .

٣ - يخيّر الطالب في تحديده مدة دراسته وتخرّجه ، حسب ظروفه العقلية والاجتماعية (قد يرغب انهاء الدراسة في سنتين أو خمس سنوات) .

يخيّر الطالب في اعداد نفسه للدراسة العليا حسب متطلباتها أو العمل حسب قدرته ورغبته .

٦ - يخيّر الطالب في نوع «النشاط الإضافي» : الرّياضة البدنيّة ، التربية الفنيّة ، المهارات التجارية ، مختلف المهن المتوفرة ، حفظ القرآن الكريم ... الخ .

٧ - تقسّم مواد الدراسة إلى : إلزاميّة عامة : الدين ، وإلزاميّة خاصة : ما يلزم الطالب به نفسه ، واختياريّة : ما يختار لنفسه .

٨ - إذا رسب في مادة أعاد دراسة هذه المادة وحدها (لا علاقة لذلك بغيرها) .

٩ - درجات الامتحان تشمل : الحضور والغياب ، والسلوك ، والجهد ، والأداء .

١٠ - المدرسة (لا الإدارة الفرعية ولا المركزية) هي وحدها المشرفة على امتحان الطالب وتقدير مستواه .

١١ - لا حاجة إلى مراقب فالمدرس - بعد الله - خير مراقب .

١٢ - لا حاجة إلى مشرف اجتماعي . وتعين هيئة من المدرسين المختصين والعاملين في المدرسة والطلاب للقيام بمهمة الإشراف الاجتماعي .

١٣ - لا حاجة إلى باب خارجي ولا بوّاب ولا أسوار ، لتعود المدرسة جزءاً من الجماعة (المجتمع) لا معزولة عنها كالسّجن أو مصحة الأمراض المُعْدية .

١٤ - لا يحصل أيّ طالب على مخصّص مالي تشجيعي ، فدراسة الدين يجب أن تكون غايتها الآخرة ، ودراسة الدّنيا تترك لعامل العرض والطلب .

برهـانه :

١ - فطرة الله وشـرعـه ، قـال الله تعـالى : ﴿ **وإذا بلغ الأطفـال منكم الحلم فليستئذنوا كـما استئـذن الذين من قبلهم** ﴾ ، وقـال تعـالى : ﴿ **ثم نخـرجكم طفـلاً ثم لتـبلغـوا أشـدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يردّ إلى أرذل العـمر لكيـلا يعلم من بعد علم شيئاً** ﴾ .

أولاً : إذا كـان الله فـاطر الخلق قـد أهّل الانسـان (ببلوغـه الحلم) لتحمّل تكاليف شريعته من صلاة وصيام وحجّ ، وثواب على الطّاعة وعقاب على المعصية ، وخيّره بين طريق الخير وطريق الشر ، وأهله لممارسة مسئوليات حياته من زواج وإنجاب وتربية وإعالة أسرة ، فهل لمسلمٍ أن يدّعي أنه غير مؤهل لتحمل مسئوليات دراسته ؟

ثانيـا : إذا كـان الله بارئ الخلق - رحمة منه وفضلاً - قـد وهب الإنسان القدرة على التعلّم حتى يبلغ أرذل العمر ، فهل يليق بالمسلم أن يغلق أبواب المؤسسة التعليميّة في وجوه طلاب العلم وهو يردد «العلم من المهد إلى اللحد» ؟

٢ - لم تعد المدرسة المصدر الوحيد ولا الأول ولا أكثر جاذبية للحصول على المعرفة إذ نافستها وغلبتها وسائل النشر

والاتصالات والاعلام ، ومع هذا التحوّل الكبير ، فلو كان نظام التعليم التقليدي هو الأصلح في الماضي ، لوجب تعديله أو تغييره الآن بالتركيز على ترغيب طالب العلم في العلم وتعويده على طلبه في المدرسة ، وتهيئته لذلك بعد خروجه من المدرسة إلى أفق الحياة العلمية الأوسع مدفوعاً برغبته الذاتية وليس بالتسليط الخارجي .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، (هذا في أمور الدّين اللازمة لحياة الإنسان في دنياه وأخراه ، والصالحة له يقيناً من وحي الله إلى رسوله ولأمته إلى قيام الساعة) ، فهل يجوز للمسلم أن يُلزم طلاب العلم بمنهاج ظنّي محدّد قد يتعدّى حدود طاقة بعضهم أو يقصر عنها ، وإذا لم يتجاوز طالب حواجزها المصطنعة حكم عليه بالغباء والتقصير والفشل مما قد يؤثر على مستقبل حياته - وبالذات على طلبة العلم - حتى يموت ؟

٤ - بسبب التنظيم التقليدي الجامد اضطر عددٍ كبير من الطّلاب إلى ترك الدراسة لرسوبهم أكثر من مرة في اللغة الأجنبية -

مثلاً - الالزامية في المدارس العامّة والدّينية والمهنيّة والوظيفيّة ، ومع أنه لا شك في أهميّة الانكليزيّة لبعض المهن والوظائف والدّراسة في الخارج فما نفعها لـ ٥٠٪ على الأقل من المسلمين لا يرغبون فيها أو لا يقدرون عليها أو لا يحتاجونها في دنياهم ولا أخراهم ؟

٥ - وبسبب جمود التنظيم التقليدي ، فلا يلين لحال الطالب ولا يلائم طبيعته الفردية التي ميّزه الله بها : ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً** ﴾ ، بل حال بين الطالب وبين تحقيق ذاته وما تتميّز به من قدرات ورغبات ومواهب ؛ تعلّم أكثر الطلاب كراهية البحث الذاتي عن المعرفة دينية ودنيوية وقطع حبل التعلّم بمجرد حصوله على وثيقة التخرج أو طرده من المؤسسة التعليمية .

مواجهة مع الأعراف والتقاليد :

عرضت مشروعي للإصلاح مرتين على زملائي القائمين على التّعليم الثانوي في الوزارة ، والإدارة التعليمية في المناطق ، والمدارس فلم ألق استجابة تذكر لطلبي بحث الأمر ونقده .

وعرضته مرتين على وكيل الوزارة يومها : «د. أحمد بن محمد علي» وكان متميزاً في ثقافته ونشاطه ونزاهته واهتمامه بالصّالح العام ، ولم ألمس منه أي اهتمام بالأمر، إمّا لأنه يخالف رأيه في التعليم ، وإمّا لأنه بطبعه الإداري المعروف لا يميل إلى التغيير ، وإما لأنه يرى أمْن التعليم في الثبات على الطريق المحفور .

وأعذر زملائي المسئولين عن التعليم في الوزارة والمنطقة والمدرسة في الحذر والتّردد والتّوقف ؛ فأمام المشروع عقبة إقناع الرأي العام فليس من اليسير إقناعه بتعريض الطالب لتجربة جديدة لا يعلم عاقبتها إلا الله ، وقد تعّود على السّير في طريق معروف مهما اشتمل عليه من مساوئ . وأمام المشروع عقبة إقناع المسئولين عن التعليم (وبخاصة الهيئات واللجان المتخصصة) بحكمة التنازل عن «قناعات» أوحاها ورسّخها مرور الزمن والممارسة في تنظيم مجدّد وموحدّ في العالم أجمع . وظننت أن محاولة الاصلاح قد ماتت في مهدها ، وأن توقُّع مثل هذا المصير قد منع ظهور محاولات سابقة ، وقد يمنع ظهور محاولات لاحقه .

خـارق للعـــادة :

وجاء أمر من الله وحده لم يكن في حساب أحد : مشروع خطّة التنمية الثانية .

ففي الخطّة الدراسيّة المقترحة من قبل الهيئة المركزية للتخطيط ورد اقتراح بتجربة التعليم الثانوي الشامل ، وأثناء مناقشتها في وزارة المعارف اعترضت بِحِدَّة : لا يجوز أن نخرج من نظام قديم إلى نظام جديد لمجرد وجوده أو شهرته ؛ لابدّ أن تبرز الحاجة محلياً إليه ، وأن يوجد فيه ما يسدّ هذه الحاجة ، وأن ينبع الإحساس بالحاجة واختيار الوجه المناسب لسدّها من المدرسة والقائمين عليها . وأسرّ إليّ د. سعود الجماز (مدير عام الأبحاث والمناهج يومها ومن أجرأ القائمين على التعليم في بحث الواقع ومحاولة إصلاحه) بأني لو قبلت فكرة التجربة الشاملة وجعلتها عنواناً لمشروعي في الاصلاح لحلّت عقد كثيرة . شكرت الله ثم شكرت أخي ، وعدّلنا الاقتراح ليكون «تجربة لون من ألوان التعليم الشامل» حتى لا نُربَط بحدوده ونظمه المعروفة في الخارج .

ومن هنا جاءت تسمية محاولة الاصلاح هذه «بالمدرسة الشاملة» بالرغم من نفوري وعزوفي عن تقييدها باسم مميّز . وفتح

الباب الرسمي للمحاولة .

وأقر ولاة الأمر الخطة التعليمية الجديدة ومن ضمنها مشروع الاصلاح وزالت العقبات دفعة واحدة بفضل الله ثم بفضل وكيل الوزارة ذلك الوقت الأمير / خالد بن فهد بن خالد ، وكان خير من عرفت من المسئولين عن التعليم خلقاً وجرأة وعوناً للعاملين رغم كثرة العقبات واحتمالات الفشل .

وصدر قرار وزير المعارف برقم ١/٣٨٤٨/١٢/١ في ١٣٩٥/٧/١ هـ بالموافقة على طلب وكيل الوزارة للشؤون التعليميّة والإدارية الأذن ببدء التنفيذ .

تميّز المحاولة :

تسابق المهتمون بالتعليم (ولابّد أن يكون التعليم موضع اهتمام كلّ فرد في الجماعة المسلمة «المجتمع» لملازمته حياته : طالباً أو وليّ أمره أو معلماً أو قائماً على التعليم) لعزو هذا المشروع لأقرب الأنظمة القديمة أو الحديثة إليه من وجهة نظره (كما يقال عن سبعة من فاقدي البصر يصفون فيلاً بما يلمسون من جسمه فمن لمس جلده وصفه بأنه كالجدار ، ومن لمس ساقه قال : إنه

كالشجرة ، ومن لمس ذنبه وصفه بأنه مثل الحبل ، ومن لمس أذنه قال : إنه كالمروحه .. إلخ) .

والحقيقة أن هذه المحاولة لا تشبه نظاماً معيّناً في كل شيء ، ولا يختلف عن كلّ الأنظمة في كلّ شيء . لقد رفض وفد المملكة إلى مؤتمر اليونسكو في جنيف عام ١٩٧٥ (وكنت عضواً فيه) عرض المشروع على المؤتمر بحجة أنه خروج على الاتجاه العالمي للتربية ، وفي المقابل فإنه لا يمكن لبشر أن يتخلص من تأثّره بمن قبله ومن حوله ، وكلّ كسبه من الثقافة والخبرة والتربية والعلم انما هو نتيجة لعلاقته بهذا الإرث الإنساني العظيم .

وأهم ما في هذه المحاولة مخالفتها لما سبقها في العالم المسلم (وكذلك في العالم الكافر غالباً) من حصر التعديل والتبديل والتغيير التربوي في الانتقال من تقليد اتجاه معيّن إلى تقليد اتجاه آخر لمجرد حداثته أو شهرته ، وليس في إدراك الخلل ومحاولة إصلاحه أولاً وقبل كل شيء .

« تنفيذ المحاولة »

الخطوة الأولى :

فتحت مدرسة واحدة في الرياض لبدء التنفيذ (ومن خلال التقويم) اخترت لها أن تعاني النقص الذي تعانيه المدارس الجديدة في المبنى والأثاث والأدوات والخدمات ، ولم أقبل عرض الوزارة إقامة مبنى خاصّ تتوفر فيه كل التجهيزات التي نقترحها لإنجاح المحاولة ، لأن النجاح الحقيقي هو في ثبوت قدم التنظيم الجديد في الظروف نفسها التي تتعرّض لها أي مدرسة ناشئة في المدينة الكبيرة أو القرية النائية .

وبدأت الدراسة الثانوية بهيكلها الجديد في مبنى بسيط لمدرسة ابتدائية من الألياف الزجاجية ليس فيها ماء ولا كهرباء ولا دورة مياه ولا مختبرات لدراسة «العلوم الطبيعية» ، (ولضرورة وجود هذه المختبرات استعمل الطلاب مختبرات المدرسة المتوسطة المجاورة بعد إنتهاء وقت الدراسة) .

مقياس النجاح :

رضيت من مؤشرات نجاح المحاولة بما يلي :

١ - عاد إلى مقاعد الدراسة رجال تجاوزوا سنّ التعليم التقليدي

ويئسوا من مواصلة التعليم بسبب إلزامهم في الماضي بالنجاح في مادة دراسية (فأكثر) لم يؤهلهم الله للنجاح فيها . ولم أجد غرابة ، بل سرّني ، أن يدرس طالب مع والده في المستوى الدراسي نفسه .

٢ - زاد ارتباط الطالب بالمعلم بعد أن أضيف إلى الأخير مسئولية الإشراف والإرشاد والتقويم الابتدائي والنهائي .

٣ - دلت المقارنة على أن الطالب أهل لتحميله مسئولية سلوكه فلم تزد نسبة الغياب (كما توقع البعض) في هذه المدرسة عن المدارس الأخرى بل نقصت .

٤ - ودلّت المقارنة على أن الطالب أهل لتحميله مسئولية دراسته ؛ فقد أظهرت نتائج الجامعات (بعد بضع سنين) أنّه لم يتخلف مستوى خريج المدرسة التجريبية (كما توقع البعض) عن خريج المدارس الثانوية التقليدية رغم نقص عدد السّاعات الدراسية في الأولى عن الثانية .

٥ - دلّ إقبال الطلاب على الإلتحاق بالمدرسة (رغم قصورها في الخدمات) وهي في مرحلة التجربة ، على أن إعادة مسئولية الدراسة إلى الطالب قرار صالح ؛ فالإقبال على العمل من أهم عوامل نجاحه .

٦ - دلّت عودة الرّجال من سوق العمل للدراسة على أن التنظيم

الجديد (ولاشك) سيخفف معضلة التسرّب (ترك الطلاب المدرسة) .

٧ - بالمقارنة النظرية والعملية ساهمت المحاولة في تخفيف أزمة المباني والمعلّمين : بإلغاء نظام الإعادة ، وبإدخال الوقت المسائي للدّراسة .

خطوات أخرى :

بعد استقرار الدراسة في مدرسة التجربة الأولى ، وتجاوزنا مرحلة الخوف من تعريضها لذبذبة الآراء والنظريات ، دعت وزارة المعارف ممثلي الجامعات في المملكة للنظر في مستقبلها ، وبخاصة المشاركة في التقويم والتعديل حسب الحاجة ، ولابد أن تهتم للأمر لأنها ستواجه ثمار التجربة قريباً بالتحاق خريجيها بالدراسة الجامعية . وكالعادة طغت على اجتماع ممثلي الجامعات بالمعنيّين في الوزارة مناقشات نظرية ظنّية ، وميل إلى الاهتمام بالتفاصيل الشكلية وغالباً عدم اهتمام على الإطلاق .

وعرضت الوزارة على ممثلي الجامعات أن تحوّل البحث من النظر إلى التطبيق بوضع مدرسة تجريبية تحت إشراف كلّ جامعة للتعرف مباشرة على محاسن التجربة (ولابد لها من محاسن) ومساوئها (ولابدّ لها من مساوئ) وإعادة الاجتماع بعد فترة كافية لمقارنة النتائج .

وكان أول مستجيب لهذا العرض «د. عبد الله المعجل» الأستاذ في «جامعة البترول والمعادن بالظهران» فأبدى استعداد جامعته للإشراف على مدرسة تجريبيّة قريباً من الجامعة ففتحت المدرسة الثانية في المبنى القديم لثانوية الدّمام.

وكان الدكتور «عبد الله محمد الزيد» الأستاذ في «جامعة الملك عبد العزيز» (شطر مكة) من خير من عرفت اهتماماً بالتربية في المملكة وعملاً على تطويرها، فكوّن مع زملائه الدكتور سعيد أبو عالي والدكتور إسماعيل ظافر والدكتور طه السّبع لجنة للإشراف على مدرسة تجريبيّة في المنطقة، وفتحت المدرسة الثالثة للتجربة (حراء) في مكة، ثم فتحت المدرسة الرابعة للتجربة (بدر) في جدة. ثم وسّعت هذه اللجنة للإشراف على التجربة عامّة في المملكة.

أماني لم تتحقق:

أثناء التطبيق لم يتحقق بعض ما كنت أحرص على تحقيقه:

١ - رغبت في إقناع المعاهد العلمية الدينية بتجربة هذا التنظيم لما فيه من مغريات طبيعية ومشروعة لدراسة العلوم الدينية، ولتخليصها مما فرضه عليها التقليد من مواد دراسية غير

دينية تعوق طلب العلم الديني أكثر مما تنفعه .وللأسف رأى القائمون عليها (من زملائي في الدراسة) أن معايشة القيود والعقبات المألوفة أكثر أمناً ويسراً من القيام بمحاولة جديدة .

٢ - ورغبت في إدخال مناهج معاهد المعلمين في مقررات المدرسة الجديدة لأهميتها والحاجة إليها لكل فرد من البشر ، وبخاصة للمرأة فقد كنت أتمنى أن تؤهّلها المدرسة لعملها الأول في البيت : التّربية ، وتثبّطها عن مواصلة الدراسة التي تقودها إلى العمل خارج البيت لغير ضرورة ، قال الله تعالى لقدوة النّساء في هذه الأمة أمّهات المؤمنين : {وقرن في بيوتكن} وبيّن الرسول صلى الله عليه وعلى اله وصحبه لنساء المسلمين أن صلاتهن في بيوتهن أفضل من صلاتهن معه في مسجده .

٣ - ورغبت في إدخال المناهج الوظيفية والمهنيّة : تجارية وزراعية وصناعية إلى المدرسة الجديدة ، تأكيداً لإزالة الفوارق بين مناهج الدراسة الثانوية ، وتيسيراً للطالب ، الذي هيأه الله للمهنة والوظيفة دون المستوى الجامعي ، لاختيار ما يسّر الله له يوم خلقه وابقاء الطريق مفتوحاً لمواصلة دراسته في المشتقبل لو تغيّرت ظروفه واتجاهه ، دون حرج ولا إغراء

مادّي في الانصراف عن الدراسة النظرية .

ولكن التنفيذ قَصُر عن تحقيق الأمرين الأخيرين .

بدايـــة النهـــاية :

بعد عشر سنوات من ثبات المحاولة واستقرارها قرّر ولاة الأمر عام ١٤٠٥ هـ نشر تنفيذ المشروع في أنحاء المملكة بعد إعادة دراسته وتعديله ، وانتدب عددٍ من المختصّين والمعنيّين للإعداد لذلك . وكانت النتيجة مخططاً جديداً للتنفيذ يبتعد عن أصل المحاولة ويقترب من التنظيم العالمي المعاصر تضمّن :

١ - زيادة عدد المواد الدّراسية الإلزاميّة العامّه . وهذا في رأيي أسوأ ما طرأ على التجربة .

٢ - زيادة الزّمن الذي يحتاج الطالب الإلتزام به في الدراسة قبل التخرج . وهذا مما عجّل بتوقّف المحاولة .

٣ - زيادة بعض المهارات والخبرات الحديثة .

وتحولت التجربة بذلك إلى مصالحة بين التنظيم التقليدي وبين مشروع تعديله ؛ عودةً إلى المنهاج الفكري الأوروبي : النظرية ، وضدها ، ثم محاولة الجمع بينهما . وسلب من المشروع خير ما فيه . كونه علاجاً محلياً لمشاكل تعليمية محليّة سببها التقليد بلا تعقل .

قطع علاقتي بالتنظيم :

لم أجد بدّاً من إنهاء علاقتي بالتّنظيم بعد أن وضعني التعّديل والتطوير الجديد بين خيارين مستحيلين : فرض رأيي على ولاة الأمر ، ولست بقادر على ذلك ، أو اشتراكي في تنفيذ خطة لا أراها أهلاً للتنفيذ ولا للبقاء ، ولا أدري فائدة من ذلك لي ولا لها .

وفي بضع سنين تبيّن لولاة الأمر أن من خير البلاد والعباد في المملكة العربية السعودية إلغاء «المدارس المطوّرة» وانتهت محاولة الاصلاح إلى غير رجعة إلاّ أن يشاء الله .

«محاولات ثانية للإصلاح »

بعد سنين من بدء تنفيذ المحاولة الأولى ، وثباتها بدرجة لم أتوقعها رأيت أن أتمّ مشروع الاصلاح فتقدّمت إلى الوزارة باقتراح لإصلاح التعليم العام قبل الثانوي وكان ذلك في أول شهر رجب عام ١٣٩٧ للهجرة . وبعد شهر واحد صدر قرار وكيل وزارة المعارف برقم ٣٢/٤/١/٢٨٨٦/١ في ١٣٩٧/٨/٤ هـ بالموافقة على بدء تنفيذ هذا الاقتراح بصفة تجريبية في مدرسة واحدة من مدارس الرياض ، ولم أجد غرابة في سرعة الحصول على الموافقة الرسمية فيما يتعلق بأمر بالغ الحساسية ولكلّ فيه رأي وبه اهتمام . ولكن الله وهب الأمير / خالد بن فهد بن خالد ، وكيل الوزارة يومها ، خلقاً إدارياً نادراً تشتد الحاجة إليه ولا يكاد يوجد : احترام العاملين معه ، وإيلاؤهم من الثقة ما يراهم أهلاً له ، واعطاء آرائهم الفرصة العمليّة لإظهار قيمتها ، وسرعة البتّ بعد الاقتناع .

الخـلل :

١ - تعريض الطفل في سنّ مبكرة لمنافسة غير عادلة مع غيره مع تفاوت أقدارهم .

٢ - ربط نجاحه في مادة أو خبرة دراسيّة يجيدها بمادة أو خبرة لا يجيدها .

٣ - تعويده منذ البداية، أنّ طلب العلم هدفه الأول والأخير : درجات الامتحان . ليس رضى الله ، ولا المعلم لذاته .

٤ - حصر التعليم في اتجاه واحد : لسان المدرّس وأذن الطفل ،، مما يثقل على كليهما ، فمنّ الصعب على المدرس إسماع ٣٠ طفلاً على الأقل ٤٥ دقيقة ، ومن الصّعب على الطفل (بخاصة) الصّبر على الاستماع كلّ هذا الوقت فضلاً عن الاستيعاب .

٥ - نتيجة لما تقدم أظهرت إحصاءات التعليم لخطة التنمية الثانية أنّ ١٥٪ من الأطفال (وحسب) يصلون إلى المرحلة الثانوية دون رسوب ولا تسرّب ، خلال سنوات الدّراسة العادية : ١٢ سنة .

العـلاج :

يعدل التنظيم على النحو التالي :

١ - تبـدأ الدراسـة في هذه المرحلة (مـرحلة الطفـولة) من سنّ السّادسة تقريباً ، وتنتهي بسنّ الخامسة عشرة تقريباً .

٢ - تشـمل هذه المرحلة الخبرات والمهارات والمعارف التي تقدمها المرحلة الابتدائية والمتوسطة في النظام التقليدي ، وحسب الحاجة تضاف إليها الخبرات والمهارات التربوية والتعليمية التي تقـدّمـها روضـة الأطفـال في السّنة الأولى من هذه المرحلة .

٣ - العلوم الدينية والعربيّة (العمليّة) هما المحور التربوي والتعليمي في هذه المرحلة ، وتلتف حولهما وترتبط بهما الخبرات الأخرى : علوم الحرف والرقم ، العلوم الطبيعية ، والعلوم الاجتماعية .

٤) تُزال الحواجز الزّمنية والمكانية التي تعوق الطفل أو تتعجله خلافاً لفطرته وقدرته وطبيعته التي ميّزه الله بها عن غيره .

٥ - يُوزَّع المحتوى الدراسي (المنهَاج أو المقرّر) على وحدات صغيرة يتقدّم كل طفل في دراستها وفق قدرته واستعداده .

٦ - للطفل أن يدرس مادّة أو أكثر مع فئة متقدّمة ، ومادة أو أكثر مع فئة مبتدئة حسب استعداده لكلّ مادة .

٧ - المهمّة الأولى للقائمين على المدرسة التّوجيه والاشراف ، ويوزّع المعلم اهتمامه التعليمي على الأطفال حسب درجة احتياج كل منهم إليه ، ويُشجّع الاطفال على التعلّم الذاتي إلى أقصى حدّ ممكن ويُشَجّعون على التعلّم والتعليم فيما بينهم .

٨ - للمنطقة التعليمية التركيز على مادة أو مواد ثانوية (وهي ما عدا الدين واللغة العربية) حسب حاجة الجماعة (المجتمع) الذي تخدمه .

٩ - للطفل التركيز على مادة ثانوية أو أكثر وفقاً لميوله واستعداده وحاجته .

١٠ - التقويم (الامتحان ، من البداية إلى النهاية) أمر داخلي بين الطفل ومدرّسه ومدرسته .

١١ - لا يعيد الطفل فصلاً ولا سنة دراسية ولا يعيد مادة نجح فيها ، وإنما يعيد عند الحاجة دراسة مادة أو ممارسة خبرة لم يسبق له اجتيازها .

« تنفيذ المحاولة »

بالتّعاون مع إدارة التعليم بالرّياض : أُختيرت مدرسة صغيرة في الرياض افتتحت حديثاً للمرحلة الابتدائية في مبنى جاهز من الألياف الزجاجية ، لم يؤهّل مديرها ولا مدرّسوها تأهيلاً خاصّاً لتنفيذ هذه المحاولة .

وبدأ التنفيذ على النحو الذي أفضله : بلا تعقيد ولا مظاهر ولا خدمات متميّزة ولا نفقات إضافية . وعلى طريق التنفيذ حدث ما يلي :

١ - واجهنا مشكلة تحديد مستوى الطالب عند انتقاله إلى مدرسة أخرى إذ أن طالب هذه التجربة يختلف مستواه في مادة عن مستواه في مادة أخرى . ووافقت الوزارة مشكورة على أن تتولى مدرسة التجربة تعيين مستوى الطالب المنتقل منها ومكانه في المدرسة المنتقل إليها ، وكانت هذه المرونة النادرة تأسيساً بموافقة وزير المعارف من قبل على أن تكون الكلمة الأولى والأخيرة للمدرسة في تقويم طلابها (امتحاناتهم) أثناء المحاولة الأولى .

٢ - حدث خلاف شخصي بين المدرّسين وبين مدير المدرسة (وكان من خيرة من عرفت خلقاً وتقبلاً للتغيير وجرأة في تنفيذه) واضطرت إدارة التعليم إلى نقل مدير المدرسة تغليباً للكثرة وتمشياً مع العادة واختيار الأسهل .

٣ - عيّن مدير جديد للمدرسة يمتاز (مع الخلق والجرأة) بالذكاء والثقافة والمهارة والبحث عن البدائل في التنفيذ والاختيار بينها ، وقد أنتج اجتهاده وبحثه : تنظيماً عصرياً دقيقاً لجميع خطوات المحاولة ورصدها وتسجيلها .

٤ - بانفصالي عن المحاولة الأولى (بعد تطويرها) وانتقال عملي إلى موضوع جديد في التربية والتعليم : الدّعوة إلى الله ، ومكان جديد : بلاد الشام ، كادت تنقطع صلتي بهذه المحاولة الثانية والأخيرة لإصلاح التنظيم التعليمي ، لولا أن مدير مدرسة التجربة لا يكل ولا يمل ولا يثبّطه عدم إهتمام القائمين على التعليم (في أيّ مستوى) بهذه المحاولة (حيث مرّت سنوات وهي في برزخ بين الحياة والموت ، لا تعدّ حيّة فيستفاد منها ولا تعدّ ميته فتدفن) .

٥ - أبرزُ محاولات مدير المدرسة الاستاذ / عبد العزيز العريفج

لبعث التجربة من الموت أو النسيان أو الإهمال : دعوته الباحثين والمختصين والمعنيّين لاعادة النظر والمساهمة في التصحيح ، وأبرز نتيجة لذلك : بحث بعنوان : «مدرسة الفهد ، تجربة في الاصلاح التربوي » أصدرته عام ١٤٠٤هـ جامعة الملك سعود بالرياض ، كلية التربية وقلم به الدكتور / حمد البقادي الأستاذ بالجامعة ، وهو بحث مستفيض ودقيق امتدّ سنتين من الدراسة والمقارنة والتقويم بالمقاييس والمعايير الحديثة المتوفرة . وكنت أحبّ أن أقول أنه خير ما مرّ على هذه التجربة من بحث أو اهتمام ، ولكنه الوحيد ، فلا أعلم محاولة سبقته ولا لحقته ، غير أن الاستاذ . يعقوب أبو حلو من مركز البحوث التربوية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض سبق أن قام بدراسة عام ١٣٩٩ هـ للمحاولة ، وقدم تقريراً فنيّاً مقتضباً عن هذه الدراسة ، كما قام زميله د. رفعت الشاذلي بإعداد مستخلص عام ١٤٠٠هـ لمجموع آراء لجنة مدرسة الفهد الابتدائية المتوسطة التي قامت في كلية التربية بجامعة الرياض لمتابعة التجربة بدعوة من وزارة المعارف قبل انفصالي عنها .

٦ - هذه المبادرة النادرة من الاهتمام والجهد الذي بذله مدير المدرسة والباحثون من جامعة الرياض اوليس لي في الأمر إلا

إثارته بطريقتي البدائية) كان من المحتمل أن تبرز آثاره في إصلاح التعليم العام ، وهو في حاجة ماسّة إلى الاصلاح ، ولكن لا أجد من الظلم أن أقول عن الروتين الإداري التعليمي :

« لقد أسمعت لو ناديت حياً .. ولكن لا حياة لمن تنادي »

« عودة إلى العلم والتعليم الشرعي »

لم أكن - بفضل الله - من الراغبين في التنقل بين الوظائف والأعمال الحكومية بحثاً عن المال أو الجاه (بل اني لأفاخر زملائي بأني قضيت ٢٢ سنة الأخيرة لم أطلب مرة واحدة راتباً أو مرتبة أعلى ، رغم تيسّر ذلك وأحقيته إدارياً) ، ولكني وجدت من المناسب الآن ، (وقد «طَوَّرتَ» المحاولة الأولى «وجُمِّدَت» المحاولة الثانية للإصلاح التعليمي) : الاستجابة لدعوة كريمة ملحّة من الشيخ / عبد العزيز بن باز كبير العلماء والدّعاة والمفتيين بالمملكة المباركة ، للعمل في الدّعوة إلى اللّه على بصيرة في الخارج (لا مديراً عاماً للدعوة ولا مديراً لمكتب الدّعوة في أمريكا كما طلبت مراراً ولكن) مشرفاً على الدعوة والدّعاة في أرض الشام المباركة ، مبعوثاً من أرض التوحيد والسّنة والقداسة والبركة ، وفي ذلك استمرار لطلب العلم الشرعي ومساهمة في نشره .

«الدعوة إلى الله :
المنهاج الأول والأصح والأعلى للتعليم»

كان اختيار اللّه لي للدّعوة إلى سبيله على بصيرة من شرعه إعادة لي إلى العلم الشرعي وتعليمه ، وقد اصطفى خير خلقه لذلك : {الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس} ، أدركت فضل الله عليّ بذلك رغم ضعفي عن القيام بحقوقه وواجباته ، ونقصي (في السلوك والعلم والعمل) عن أدائه على الوجه الذي أتمناه . واخترت منهاج النبّوّة في الدعوة ، فالدّعوة عبادة ، والعبادة توقيفية : لا يجوز أن تؤخذ إلا عن الوحي من الله إلى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ ، فلا يجوز لي ولا لغيري إلى قيام السّاعة اختيار غيره .

منهاج النبوة في الدّعوة :

البصيرة في الدين : هي العلم من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفقه الأئمة من القرون المفضلة في نصوص الكتاب والسّنة . فالإسلام (ومنه الدعوة إليه) يقوم على

اليقين لا يقوم على الظنّ : ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ .

وموضوع الدعوة الأول في رسالات الله إلي كلّ خلقه : إفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه ، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله» الصحّيح : ﴿وما أرسنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ، ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت ﴾ ، وبعد أن يستقر هذا في القلوب تأتي أحكام العبادات والمعاملات ويلحق بها الآداب والأخلاق الشرعية ، ويتخلل ذلك التّرغيب والتّرهيب من نصوص الوحي لا من القصص والأمثال ، صحت أو لم تصّح ، فلا يجوز أن يعرض دين الله لأهواء البشر . وكان أكبرهمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بداية بعثته الدعوة إلى توحيد العبادة لله والتحذير من إشراك غيره معه في العبادة ، وكان هذا أكبر همّه وهو يموت ، وكان هذا أكبر همّه فيما بين بعثته وموته ، وثبت في صحيح مسلم أنه كان يقرأ سورة «ق» كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس . ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أنه صرف خطبة الجمعة ولا شيئاً منها إلا الدعاء لحدث طارئ مثل غزوة بدر أو أُحد أو غيرها ، لا قبل حدوثها ولا أثناء حدوثها ولا في ذكراها ، كان يخصّ

بها الثوابت: التوحيد ونفي الشرك ، اتباع السنة والتحذير من البدعة ، الأحكام الفقهيّة ، ذكر الجنّة والنّار ، والتذكير بالموت ، والتذكير بالله عامة .

مناهج البشر المنحرفة :

الانحراف عن المنهاج الصحيح ، والتقليد الجاهل ، ليس وقفاً على علاقة المسلك المعاصر بالتنظيم التعليمي الحديث ؛ فالدعوة إلى الله (أرقى مناهج التعليم) تحولت عند كثير من دعاة العصر إلى تقليد بشري حُجِب فيه المنهاج النبوي اليقيني بمناهج أصحاب الطّرق والفرق والأحزاب والجماعات الموصوفة «بالإسلامية»، وهي بمجرد وجودها مخالفة للإسلام وخارجة عن جماعة المسلمين بعنوانها ومنهاجها وأميرها : ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منّهم في شيء**﴾ .

وتحوّلت خطبة الجمعة (الدّرس الدّيني المفروض ، الذي لا يشهد أكثر المسلمين غيره) إلى ملحق للجريدة والإذاعة والإشاعة ينشغل بالظن عن اليقين وبالفكر عن الوحي وبالتحليلات السّياسية الفجّة عن أسس حياة الإنسان في دنياه وأخراه من شرع ربه وسنة رسوله .

ولا علاج إلاّ العودة بدين اللّه (ومنه الدعوة إليه) إلى وحي الله في كتابه وفي سنة رسوله وإلى فقه خير القرون في تاريخ الإسلام «تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب اللّه وسنتي » ، «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

« خاتمة »

وأختم هذه الأسطر بما سبق وأن ألمحت إليه هنا ، وأبديته لولاة الأمر في جزيرة العرب المميّزة من الله بخير الدّنيا والدّين ، أن أول ما يجب فعله لإصلاح التعليم بناؤه عموماً ، على شرع الله ، وتفصيلاً على لغة القرآن : قاعدة ورسماً وأسلوباً . فهذه اللغة بعد الدّين الذي حملته هما الركيزتان الثابتتان للعزّة والرقي في الدنيا والآخرة . وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين ، واللهم نسألك بأسمائك الحسنى أن تجعلنا منهم .

وثائق تربوية لها تاريخ

تظهر الدور المحوري للأستاذ سعد الحصيّن في تحريك العديد من التجارب التربوية الرائدة :

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
مكتب الوزير

الرقم ١/١٢/١٠/٣٤٨/١
التاريخ ١/٧/١٣٩٥هـ
المشفوعات

سمو وكيل الوزارة للشئون التعليمية والادارية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

بالاشارة الى خطابكم رقم ٣٢/١/٢٢٨٢١/٤٩ في ١٧/٦/٩٥ هـ المتضمن التنويه عما تضمنته الخطة الثانية للتنمية باعادة النظر في برامج التعليم الثانوية من حيث المناهج والتنظيم وذلك اعدادا لادخال نظام المدرسة الثانوية الشاملة بانتهاء الخطة الثانية للتنمية كما تضمنت اقامة مدارس تجريبية لهذا الغرض باختيار مدرسة ثانوية واحدة بمدينة الرياض لاجراء التجربة افيدكم انه لا مانع من ذلك
ولكم تحياتي...

وزير المعارف
حسن عبد الله ال الشيخ

نسخة طبق الاصل

ندوة لدراسة هيكل الدراسة الثانوية الجديد

عقدت في قاعة الاجتماعات بوزارة المعارف بالرياض في الفترة من ١٩ الى ٢١ ١١ ٩٥ ندوة لدراسة هيكل الدراسة الثانوية الجديد كما طبق في ثانوية اليرموك بالرياض واشترك في هذه الندوة كل من الاخوة

عبد الله محمد الزيد	جامعة الملك عبد العزيز
مزار توفيق	
عبد الله المعجل	جامعة البترول والمعادن
خالد الحلف	
صالح العذل	جامعة الرياض
منصور الحازمي	
محمد الرشيد	
عبد الملك الخيال	
عبد العزيز هنيدي	كلية الملك فيصل الجوية
عصام حكيم	كلية الملك عبد العزيز الحربية
فاروق غزاوي	كلية قوى الامن الداخلي
غالب طلحاب	كلية قوى الامن الداخلي
حمد السلوم	ادارة التعليم بالرياض
سعود الجمار	وزارة المعارف
تاج الدين السواس	
سيد احمد عمار	
محمد العميل	
عبد الرحمن العبدار	
سعد الحصين	

وحضر جزءا من الوقت كل من الاخوة

خالد بن فهد بن خالد	وزارة المعارف
ابراهيم الحجي	
سعد ابو معطي	
محمد المطيفاني	
عبد الله الزامل	

ابراهيم الصيخان	مدير ثانوية اليرموك بالرياض
صالح ازمرلي	جامعة الرياض
محمد العبد اللطيف	وزارة الدفاع والطيران

وكان اساس المناقشة واقع ثانوية اليرموك كما يظهر من دليل المدرسة المرفق وعرض الاخوة من المشرفين على التطبيق من موظفي وزارة المعارف وقد كانت نتيجة هذه الندوة ما يلي

أ - تاييد هذا المشروع وتاكيد استمراره

ب - اقتراح التعديلات التالية

١) اعادة صياغة الاهداف الخاصة بهذا النوع من التعليم والمبررات لوجودها في دليل المدرسة بغرض التنسيق

٢) تعديل الفصل الثاني من دليل المدرسة والخاص باقسام الدراسة على النحو التالي

اولا تحتوي على ثلاثة اقسام

الاول العلوم الطبيعية والرياضيات

ويدرس الطالب في هذا القسم مواد الفيزياء والكيمياء والاحياء والجيولوجيا والرياضيات بصورة متكاملة ويعطى الفرصة للتركيز على مادة او اكثر من بينها بحسب ميوله وتطلعاته في مستقبله العلمي والعملي

الثاني العلوم الانسانية وينقسم الى -

- شعبة التربية والعلوم السلوكية
- شعبة الادارة والعلاقات الانسانية

- الثالث التقنيات والدراسات الوظيفية

ويتفرع الى اربع شعب

- فنون عامة
- تجارة
- زراعة
- صناعات مختلفة

ثانيا يسبق اختيار الطالب برنامج دراسته ضمن احدى هذه الاقسام الثلاثة انهاءه ٢٥٪ من الساعات المعتمدة المطلوبة لانهاء المرحلة الثانوية في دراسته مقرر عام يتضمن

المواد	الساعات المعتمدة
ثقافة اسلامية	٥
لغة عربية	٥
رياضيات	٥
فيزياء وكيمياء واحياء	٦
لغة انجليزية	٥
علوم اجتماعية	٤

٣) توزع ساعات الدراسة المعتمدة الـ (١٢٠) كالتالي

٣٠ ساعة معتمدة لمتطلبات المدرسة

٥٠ ساعة معتمدة لمتطلبات القسم

٢٠ ساعة معتمدة اختيارية ضمن موار القسم

٢٠ ساعة معتمدة اختيارية عامة

٤) توزع ساعات الدراسة المعتمدة لقسم العلوم الطبيعية والرياضيات كالتالي

٢٠ ساعة معتمدة للرياضيات

٣٠ ساعة معتمدة للعلوم الطبيعية

٢٠ ساعة معتمدة اختيار في العلوم الطبيعية والرياضيات

٥) توزع ساعات الدراسة المعتمدة للاقسام الاخرى من قبل لجان مختصة في وزارة المعارف

والله ولي التوفيق

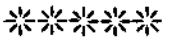

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	صفحة
١ - تقـــديـم	٥
٢ - تمهيـــد	٩
٣ - صورة خطاب	٢٣
٤ - مقدمـــة	٢٥
٥ - التعليم الشرعي المحلي .. المسجد	٢٧
٦ - التعليم الشرعي المحلي .. المدرسة سن التـعليم .. العلم .. المعلم .. طريقـة التـعليم .. أدوات التعليم .. مبنى المدرسة .	٢٩
٧ - التعليم العام المستورد .. المدرسة الابتدائية .. التنظيم .. سباق غير متكافئ ونتيـجة غير عادلة وهدف متواضع .. تعدد العلوم والفنون .. المعلمون .. الأدوات والوسائل التعليمية .	٣٦
٨ - دار التوحيد .. المعلمون .. نمط جديد في الحياة .. هدف التعلم .	٤٥
٩- كلية الشريعة .. الحدود الزمنية للدراسة .. العلم والمعلمون ..	٥٠
١٠ - بين الوظيفة والدراسة ..	٥٧

الموضـــــــوع	صفحة
التدريس .. الدراسة المهنية العليا .. خبير في التعليم الابتدائي بلا خبرة .. دراسة اللغة الأجنبية .. الإدارة العامة للشقافة .. دراسة الإدارة .. دراسة التربية .. الإدارة العامة للتعليم الثانوي .	
١١ - محاولة أولى للإصلاح .. الخلل .. العلاج .. أهدافه .. تفاصيل التعديل .. برهانه.. مواجهة مع الأعراف والتقاليد .. خارق للعادة .. الباب الرسمي للمحاولة .. تميز المحاولة .. تنفيذ المحاولة .. مقياس النجاح .. خطوات أخرى .. بداية النهاية .. قطع علاقتي بالتنظيم .	٦٦
١٢ - محاولة ثانية للإصلاح ... الخلل .. العلاج .. تنفيذ المحاولة .	٨٦
١٣ - عودة إلى العلم والتعليم الشرعي .. منهاج الدعوة .. مناهج البشر المنحرفة .	٩٣
١٤ - خاتمة ...	٩٨
١٥ - وثائق لها تاريخ ...	٩٩
١٦ - فهرس المحتويات	١٠٥

الدكتور / عبد الله بن محمد الزيد

في سطور

* من مواليد عام ١٣٦٣ هجرية .
* تخرج من المدرسة الخالدية الابتدائية في مكة المكرمة .
* تخرج من مدرسة دار التوحيد بالطائف .
* تخرج من كلية التربية بمكة المكرمة .
* عمل معلماً بمتوسطة دار التوحيد بالطائف .
* عمل معيداً بكلية التربية بمكة المكرمة .
* ابتعث للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية وحصل على الماجستير والدكتوراه في فلسفة التربية .
* عمل أستاذاً مساعداً بجامعة الملك عبد العزيز بفرع مكة المكرمة » .
* عمل رئيساً لمركز التدريب التربوي بجامعة الملك عبد العزيز « فرع مكة المكرمة » .
* عمل رئيساً لقسم التربية بكلية التربية بمكة المكرمة .
* عمل عميداً للقبول والتسجيل بالجامعة بمكة المكرمة .
* عضو مجلس جامعة الملك عبد العزيز بجده .
* عضو المجلس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز بجدة .
* نائب رئيس نادي جدة الأدبي .
* عضو الهيئة التأسيسية للنادي الثقافي الأدبي بمكة المكرمة .
* نائب رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي ولا يزال .
* مدير عام التعليم بالمنطقة الغربية .
* كتب في العديد من الصحف والمجلات السعودية .
* سكرتير المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة .

* صدر له العديد من الكتب هي : التعليم في المملكة العربية السعودية - من روادنا التربويين المعاصرين -التعليم الأهلي بجدة - التعليم في المملكة العربية السعودية باللغة الانجليزية - كتاب تحت الطبع عن الفنان التشكيلي الراحل محمد موسى السليم - قطوف من حروف «ديوان شعر» .
* شارك في الكثير من المؤتمرات داخل المملكة .
* مثّل المملكة في العديد من المؤتمرات العالمية خارج المملكة في السودان والعراق وإيران والكويت والهند والصين الوطنية وبلجيكا وفرنسا وأمريكا وأسبانيا .
* ترأس وفد المملكة العربية السعودية إلى مؤتمر الكتاب العالميين بأسبانيا .
* ترأس وفد المملكة العربية السعودية إلى مؤتمر الكتاب العالميين بالصين الوطنية .

الإ صدار القادم لدار الفودة

(الإعلام والتعليم)

أ. د. محمد عبد القادر حاتم

مطابع الصفا
ALSAFA
PRINTERS

هذا الكتاب

في هذا الكتاب للدكتور عبد الله الزيد حديث مسهب عن فكر الأستاذ / سعد الحصين التربوي ، وحرصه على تحقيق ذلك الفكر ، حينما أصبح مديراً عاماً للتعليم الثانوي .

وفي هذا الكتاب مشروع الأستاذ سعد الحصين التربوي الذي يفتح المرحلة الثانوية من التعليم لكلّ من حمل الشهادة الإعدادية ، بصرف النظر عن المعدّل والعمر والامكانية ، لكي يظلّ العلم مفتوحاً للمتعلّم مع دراسته لدينه وحفظه لما يحب .

عبد الوهاب أحمد عبد الواسع

دار الفوده للنشر والتوزيع مكة المكرمة - شارع عبد الله عريف (السنين سابقاً) مركز السنين التجاري
(عريف سابقاً) ت : ٥٤٤١٠٦٢ - فاكس : ٥٤٦٠٥٢٢ جوال : ٠٥٠٥٥٣٥٦٣٩ - ص.ب : ٢٠٢٤٣

رقم الإيداع : ١٤٢٥/٦٥٤٥
ردمك : ٥ - ١ - ٩٤٧٨ - ٩٩٦٠

مطابع الصفا - مكة ٥٥٦٢٨٠٠